

الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר" موطي لرنر

مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר" موطي لرنر

د. نرمن صلاح القماح

مدرس الأدب العبري الحديث والمعاصر بكلية الألسن جامعة عين شمس

ملخص:

عندما يعود الضباط والجنود من الحروب لا يعودون كما كانوا. بل تترك المعركة فيهم ندوبًا لا تمحى، ليست بالضرورة محفورة في أجسادهم، بل في أرواحهم. فمشاهد القتل، ومشاعر الفقد والغضب والخذلان، ونهاية عملهم العسكري بعد ما لحق بهم من إصابات جسدية أو نفسية، تترك فيهم أثرًا نفسيًا عميقًا لا ينتهي. فالحرب لا تنتهي في ساحة المعركة؛ بل تبدأ حرب أخرى؛ حرب مع النفس والمجتمع. تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحليل النص المسرحي "על הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר" موطي لرنر (١٩٤٩-). يركز هذا النوع من الدراما النفسية العائلية السياسية على العلاقة بين الأب والابن؛ الأب هو صاحب دار نشر، تحاول نشر مختارات تحتوي على قصص قصيرة عن حرب غزة ٢٠٢٤، والابن كان ضابطًا كبيرًا في قطاع غزة في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، ويدير دار النشر الآن بعد أن تم تسريحه من الجيش، والذي يعارض نشر تلك المختارات، ويكشف الصراع بينهما عن مواجهة أيديولوجية.

هذا وتركز الدراسة على اضطراب ما بعد الصدمة أو الكرب الذي لحق بالبطل جراء حرب غزة، وتأثيره على العلاقة بينه وبين أسرته، وتأثير الحرب على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية. لذا يطبق البحث آليات المنهج النفسي في تحليل النص الدرامي.

الكلمات المفتاحية: حرب غزة ٢٠٢٤ - دراما نفسية - اضطراب ما بعد الصدمة - المسرح الإسرائيلية - المنهج النفسي.

The psychological impact of the Gaza War trauma on Israeli society in Motti Lerner's "on the Edge" (2024)

Abstract:

When officers and soldiers return from war, they are not the same again. Rather, the battle leaves indelible scars on them, not

necessarily engraved on their bodies, but on their souls. The scenes of killing, the feelings of loss, anger, and disappointment, and the end of their military service after the physical or psychological injuries they incurred leave a deep and never-ending psychological impact on them. War does not end on the battlefield; rather, another war begins; a war with the self and society. This research paper aims to analyze the play "On the Edge" (2024) by Motti Lerner (1949-). This genre of political family psychological drama focuses on the relationship between father and son; the father owns a publishing house attempting to publish an anthology of short stories about the 2024 Gaza War. The son, a senior officer in the Gaza Strip on October 7, 2023, now runs the publishing house after being discharged from the army. The son opposes the publication of the anthology, and the conflict between them reveals an ideological confrontation. The study focuses on the post-traumatic stress disorder (PTSD) or distress suffered by the protagonist because of the Gaza War, its impact on his relationship with his family, and the impact of the war on all social and political levels. Therefore, the study uses the psychological approach to analyze the text.

Keywords: Gaza War of 2024- Psychological Drama- Post-Traumatic Stress Disorder- Israeli Theater- Psychological Approach

فرضية الدراسة:

تتطلب الدراسة من أهمية "مسرح الصدمة" بوصفه فناً متقدراً خاصاً بطبيعته في تجسيد الصدمات النفسية العميقة التي تشكلت بسبب الحروب وآثارها على الأفراد والمجتمعات، إذ تؤدي إلى اضطرابات نفسية واجتماعية تؤثر على الحياة اليومية. وفي السياق الإسرائيلي تسببت الحروب المتكررة على غزة في تداعيات نفسية واسعة النطاق ولا سيما على الجنود والضباط الذين شاركوا في العمليات العسكرية، وعلى المجتمع الإسرائيلي بشكل عام.

أهمية الدراسة:

تحاول هذه الورقة البحثية تقديم قراءة لسردية درامية عن موضوع نفسي هو تأثير ما بعد صدمة الحروب، وقدرة المجتمع المدني والعسكري على تجاوز ذكريات الحرب المريرة، من خلال نص مسرحي حداثي "על הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר موطي لرنر" (١٩٤٩-). أسعى في هذا البحث إلى دراسة قدرة النص الدرامي على تصوير عدم قدرة الإنسان على تجاوز أزماته النفسية وصراعه مع ذكرياته، وقدرة الصدمات على تحويل السلوك الإنساني.

الدراسات السابقة:

- بدر، أيمن مطاوع عبد الحميد (٢٠٢٥)، الآثار النفسية لدى الأطفال النازحين في قطاع غزة خلال حرب السابع من أكتوبر: من وجهة نظر أولياء الأمور، المجلة الأفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤، العدد ١.
- بدر، عميد أحمد & مسالمة، نافذ سليمان & مصلح، عبد الحفيظ محمد (٢٠٢٤)، الآثار الاجتماعية والنفسية للحرب الإسرائيلية على غزة (٧ أكتوبر) لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة وإنعكاسها على دافعتهم نحو التعلم، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، العدد ٦، المجلد ١٩.
- الحايك، عباس (٢٠٢٤)، مظاهر الاغتراب النفسي في مسرحية محطة الأرواح الضالة، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، المجلد ٥، العدد ٤٩.
- الرجبى، عزيزة جمال (٢٠٢٣)، أثر حرب غزة على الصحة النفسية لدى الطلبة في مرحلة المراهقة المتوسطة في المدارس الحكومية بمديرية تربية الخليل، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، العدد ٦٤.

المنهج المستخدم ومادة الدراسة:

يستخدم البحث منهج التحليل النفسي لاضطرابات ما بعد صدمة الحروب وذلك من خلال ما يسمى بـ "دراما الصدمة" والتي استخدمها الكاتب "מוטי לרנר موطي لرنر" (١٩٤٩-). من خلال النص النفسي المسرحي "על הסף على الحافة" (٢٠٢٤). يُقدم النص دراما نفسية عائلية سياسية تركز على العلاقة بين الأب والابن. الأب هو صاحب دار نشر، تحاول نشر مختارات تحتوي على قصص قصيرة عن حرب غزة. ابنه الذي كان ضابطاً كبيراً في قطاع غزة في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وتم تسريحه من الخدمة

العسكرية بعد الاضطرابات النفسية التي حدثت له خلال الحرب، وأصبح يدير دار النشر الآن، يعارض الابن نشر تلك المختارات لتناولها قصصاً عن معاناة الشعب الإسرائيلي خلال حرب غزة. ويكشف الصراع بينهما عن مواجهة أيديولوجية وأخلاقية، تركز على مكانة الأدب في حياتنا، ودوره الحاسم في تطور قيم المجتمع. كما يقول الأب في المسرحية: "عندما يغرق الأدب، يغرق كل شيء بعده".

عناصر الدراسة:

- مقدمة: تتناول أهمية دراسة الصدمة.
- المبحث الأول: التعريف بمصطلح دراسات الصدمة أدبياً.
- المبحث الثاني: السياق الاجتماعي والنفسي لحرب غزة ٢٠٢٤ وتأثيرها على المجتمع الإسرائيلي.
- المبحث الثالث: الدراسة التحليلية للنص في ضوء نظرية التحليل النفسي.
- خاتمة: تعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.
- الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "ליל הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר" موטי لرنر.

المقدمة: أهمية دراسة الصدمة

للمجتمع ثقافة، وهذه الثقافة تشمل معتقدات سكانه. وتستند هذه المعتقدات الفردية إلى تجاربهم وشعورهم بها، بالإضافة إلى كيفية تجلي قصة حياتهم في أعينهم. كل هذه المعتقدات تؤثر على مدى شعور أفراد المجتمع بالترابط أو الانفصال. لأن عالمنا قد شهد الكثير من الصدمات على مر القرون، في صورة حروب وقمع وعنصرية وتفوق العرق الأبيض، ولأن عقولنا مصممة على البقاء، فهي تبحث عن السلبية وتزدهر في الخوف، فإن ثقافتنا قد تتمسك بعقلية جامدة. هذه العقلية الجامدة تكرر أنماطاً تتلاشى في النهاية وتُسبب "دراما". تسمى هذه بـ "دراما الصدمة". عندما تحدث مأساة صادمة في مجتمع أو منظمة، ترى وتسمع "اختلافات" ويتحدث الناس وراء ظهور بعضهم البعض، ويلومون الآخرين على النتائج التي لا تعجبهم، ويحملون الضغينة، ويكررون هذا النمط. غالباً ما يصبح اللوم والعار جزءاً لا يتجزأ من هذه الدورة. هناك فرصة لكسر هذه الدورة وبدء دورة جديدة سليمة. وكما هو الحال في الربيع

عندما تُزرع بذور جديدة، هناك أيضًا فرصة لتنمية روابط جديدة في المجتمعات كل ربيع.

لا تزال المشكلة الأساسية قائمة. وهي أن أعضاء المجتمع، من قادة وشعب، لديهم تجاربهم الحياتية الخاصة التي تُشكّل قراراتهم. إدراكهم الذاتي لمدى تأثير تلك التجارب على اتخاذ قراراتهم، ونقاط قوتهم وتحدياتهم، يؤثر على كيفية تعاونهم داخل المجتمع. دراسات الصدمات الأدبية مجالّ سريع التطور، يدرس كيفية تعامل الأدب مع الجوانب الشخصية والثقافية للصدمات، ويتفاعل مع ظواهر تاريخية وحالية مثل أحداث النازي، وجرائم الإبادة الجماعية، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكرثة المناخ، أو إرث الاستعمار الذي لم يُحل بعد. "الصدمة" هنا تعني كيفية استجابتنا للحوادث، وليس أي حادثة بحد ذاتها؛ الحوادث الكبرى مثل الحروب والأوبئة وغير ذلك مما يترك أثرًا واسع المدى على المجتمع (قادة وشعوب) (Yakaboski, 2022).

يبرز عمل "كاثي كاروث Cathy Caruth" - "Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History. Baltimore and the الصدمة النفسية: السرد والتاريخ" والذي صدر بالإنجليزية أول مرة عام ١٩٩٦، وبالعربية مترجمًا عام ٢٠٢١. يعد هذا العمل علامة فارقة في الربط بين الصدمات النفسية والأدب، والتي لم تكن واضحة المعالم قبل صدوره، وتتركز في مجالات علم النفس التحليلي. حيث تقوم بتحليل مجموعة من الأحداث الصادمة الكارثية، وتصل الكاتبة لنتيجة مفادها أن معرفة حقيقة هذه الأحداث غير متاحة؛ فهي تأتي على نحو مباغت وصادم يعطل الوعي بمعرفة تلك التجربة على حقيقتها، وهذا ما يجعل التاريخ المكتوب عن تلك الأحداث جزئيًا وغير مكتمل. تؤكد نظرية "كاروث" على طبيعة الصدمة التي لا يمكن استيعابها بالكامل وقت وقوع الحدث، بل تعود لتتطارد الضحية على شكل ذكريات وكوابيس اقتحاميه، وتكرار قهري (كاروث وعبد المطلب، ٢٠٢٣).

تقف كاثي كاروث على الحضور الواسع للصدمة النفسية وتأثيراتها في الأدب والتاريخ والسينما في العصر الحديث، والتي لا يمكن فهمها بالطرق المباشرة لذا راحت المؤلفة تبحث في الأشكال المعقدة التي تتحرك فيها الصدمة النفسية على نحو عميق في لغة السرد التي تتضمنها.

من الجمع بين نظريتي التحليل النفسي والأدب، تحاول المؤلفة تقديم قراءة لسرديات الصدمة النفسية منطلقاً من كتابي فرويد "موسى والتوحيد" و"ما وراء مبدأ اللذة" وتتنظر في عدد من الأحداث الصادمة، وإذا كانت الصدمات تقوم أساساً على مواجهة حدث الموت أو النجاة منه. وتحلل ازدواجية الصوت الذي يتصل من جهة بأحداث الموت الكارثية، وبالمواجهات المباشرة معه، ومن جهة ثانية، بالمواقف العصبية التي تحصل بعد النجاة من تلك الأحداث. وتسعى من خلال تأويل الرموز والإشارات إلى الكشف عن أصل تجربة الصدمة النفسية غير المفهومة في حينها.

تستند كاروث إلى مفهوم فرويد عن فترة الحضانة أو الكمون لتوضح أن الصدمة النفسية تجربة مؤجلة من وقت سابق ترجع لتلاحق الناجي وتحاصره على نحو متكرر. وحين لا تظهر الأعراض المؤلمة للصدمة النفسية، يدخل الأشخاص في دورة لا إرادية من التكرار تعيد إحياء التجربة النفسية الصادمة (كاروث وعبد المطلب، ٢٠٢٣، صفحة ١٥٩).

يؤدي فرويد حيرته من الكوابيس المرعبة التي يراها الناجون من المعارك ومن إعادة التمثيل المتكرر للذين تعرضوا لأحداث مؤلمة، ويتساءل عن طريقة غريبة وخارقة أحياناً تعيد فيها الأحداث الكارثية نفسها عند الذين عانوا منها. ويبين أن هذه التمثيلات تكون واضحة أحياناً لا لأنها تستند إلى أفعال المرء الخاصة، بل تظهر وكأن بعض الأشخاص محكومون بقدر معي، وبسلسلة من الأحداث المؤلمة التي يتعرضون لها، وتبدو خارجة عن إرادتهم أو سيطرتهم تماماً.

أولاً: تعريف "الصدمة" من الناحية النفسية

كانت "الصدمة" في الأصل تُشير إلى إصابة جسدية تتطلب علاجاً طبياً. وهي مُشتقة من الكلمة اليونانية القديمة "الجرح" (*traûma τραûμα*). ومع ذلك، فقد تحول المصطلح منذ القرن التاسع عشر، بحيث يُستخدم الآن بشكل أساسي لوصف الجروح العاطفية، والآثار التي تُخلفها أحداث كارثية مؤلمة في العقل. فتشير إلى إصابة نفسية، أو ضرر دائم يلحق بالأفراد أو المجتمعات نتيجة أحداث مأساوية أو معاناة شديدة. وعلى مدى العقود القليلة الماضية، انتشر المصطلح لدرجة أن ثقافتنا العالمية بأكملها تُوصف أحياناً بأنها صادمة أو ما بعد الصدمة. ويُفسر واقعنا المُصاب بالصدمة بالإشارة إلى أحداث كارثية كان لها تأثير ثقافي واسع النطاق، مثل عمليات الإبادة

الجماعية في أرمينيا وكمبوديا والبوسنة ورواندا، أو حرب فيتنام، أو أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أو إرث الاستعمار الذي لم يُحل بعد، أو إلى مناسبات ومواقع معاناة أخرى لا تُحصى. بعد الهجمات الإرهابية، وحوادث إطلاق النار في المدارس، والكوارث الطبيعية، أصبح من الشائع اعتبار الأحداث المروعة صادمة، وتقديم الاستشارات النفسية أو "استجابات" الناجين والشهود (Meretoja, 2020, p. 1).

وفقاً لتعريف الجمعية الأمريكية لطب النفس فـ"الصدمة النفسية" هي: "استجابة عاطفية لحدث مروع، مثل حادث، أو جريمة، أو كارثة طبيعية، أو إيذاء جسدي، أو عاطفي، أو إهمال، أو التعرض للعنف، أو مشاهدته، أو وفاة أحد الأحباء، أو حرب، وغيرها. بعد الحدث مباشرة، تُعدّ الصدمة والإنكار أمرًا شائعًا. أما ردود الفعل طويلة المدى، فتشمل مشاعر غير متوقعة، واسترجاع ذكريات الماضي، وتوتر العلاقات، وحتى أعراضاً جسدية كالصداع أو الغثيان. مع أن هذه المشاعر طبيعية، إلا أن بعض الناس يجدون صعوبة في مواصلة حياتهم. يمكن لعلماء النفس مساعدتهم في إيجاد طرق بناءة لإدارة مشاعرهم". (American Psychological Association, 2023)

رغب ضحايا التجارب الصادمة والناجون منها وشهودها، وكذلك أولئك الذين يشعرون أنهم تأثروا بها أو تورطوا فيها بطريقة ما، في التحدث والكتابة عنها، والمشاركة في أشكال ثقافية أخرى من التذكر والشهادة. علاوة على ذلك، فإن إرث العنف المؤلم للمتضررين منه يُقلق أيضًا أولئك الذين لم يتأثروا به بشكل مباشر. تُثير هذه الأعمال قضايا المسؤولية الجماعية، مثل كيفية ضمان عدم تكرار فظائع الماضي في الحاضر والمستقبل، وكيفية معالجة آليات العنف التي ورثناها من الماضي والتي قد تستمر في الحاضر. ويُعدّ الأدب أحد المنتديات المهمة لمعالجة هذه القضايا.

في القرن العشرين، وجد "سيجموند فرويد" وغيره من المحللين النفسيين الأوائل أنفسهم أمام تجربة الجنود العائدين من خنادق الحرب العالمية الأولى، وأصبحت نظرية "الصدمة النفسية" تتواجد بشكل متزايد. وأصبح يُنظر إليها على أنها شكل من أشكال الإصابة النفسية الدائمة الناجمة عن حدث صادم يصعب تذكره وتمثيله. وأصبح من الممكن الآن الاعتراف بالصدمة كحالة حقيقية، حتى لو لم يتم تحديد أسباب جسدية أو بدنية. وتشابك الخطاب الطبي حول الصدمة مع الخطاب القانوني، حيث سعى المتضررون، سواء في الحرب أو في حوادث المصانع أو غيرها من أماكن العمل، إلى

الحصول على تعويض قانوني عن إصاباتهم النفسية. في حين كان يُشتبه أحياناً بعد الحرب العالمية الأولى في أن الجنود الذين يعانون من "صدمة القصف" يُحاكون العُصاب لتجنب العودة إلى الجبهة أو أملاً في الحصول على تعويض، بدأت المواقف تتغير بعد الحرب العالمية الثانية ومحرقة الهولوكوست، وأصبحت الصدمة فئة مشروعة لتفسير الإصابات النفسية، سواء ارتكب المرء عنفاً مروّعاً أو عانى منه أو مجرد شاهد عليه. لم تعد هذه المعاناة محل نزاع: فقد فُتح مجال خطابي للاعتراف بها على أنها حقيقية، وأنها شيء يتطلب الاعتراف به وعلاجه وتعويضه. ومن خلال هذا التحول الاجتماعي والثقافي، أصبح وضع ضحية الصدمة متاحاً ثقافياً كمكان يحق له فيه الحصول على التعاطف والتعويض بشكل مشروع (Meretoja, 2020, p. 2).

أُخذت خطوة مهمة أخرى في هذا التحول عام ١٩٨٠ عندما اعترفت الجمعية الأمريكية للطب النفسي رسمياً باضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، وذلك جزئياً كوسيلة لتفسير المعاناة المقلقة التي عانى منها قدامى المحاربين الأمريكيين في حرب فيتنام. وهنا برز للصدمة مدلول مزدوج: فقد برزت كمفهوم طبي نفسي، وأصبحت الآن فئة تشخيصية معترف بها عالمياً، وبرزت أيضاً كفئة من الخطاب الاجتماعي ذات أهمية أخلاقية قوية. يتعلق الأول بتاريخ الطب، والآخر بتاريخ القيم والحساسيات الأخلاقية (Meretoja, 2020, p. 3).

عبرت الجمعية الأمريكية لعلم النفس عن قلقها البالغ إزاء أزمة المعاناة الإنسانية وفقدان الأرواح والحرية للمدنيين العالقين في هذا الصراع المتصاعد. كما أعربت عن قلقها إزاء السلامة الجسدية والصحة النفسية لملايين الإسرائيليين والفلسطينيين المتضررين من هذا التصاعد المتزايد في العنف. وتستنكر الجمعية التكلفة البشرية للعدوان، بما في ذلك انتهاكات حقوق الإنسان، والعواقب الإنسانية الوخيمة، والمعاناة النفسية العميقة، وفقدان الكرامة والحرية. يستحق جميع الأفراد أن يعيشوا حياة خالية من الخوف والعنف حتى تزدهر صحتهم النفسية ورفاههم. وأن هناك العديد من الأبحاث التي تُحدد الآثار النفسية المباشرة وطويلة المدى للعنف والصدمات النفسية على الأشخاص المستهدفين، وخاصة المدنيين. يُشير علم النفس إلى أن الخوف والقلق والضغط النفسي الناتج عن صدمة الحروب له آثار طويلة المدى على الصحة والرفاهية. ويشعر بهذه الآثار أيضاً الناس حول العالم ممن لديهم عائلات وأصدقاء في

المنطقة، بالإضافة إلى أولئك الذين يشعرون بالقلق إزاء آثار الحرب في كل مكان.
(American Psychological Association, 2023)

أصبح خطاب الصدمة منتشرًا على نطاق واسع في أساليبنا اليومية لفهم التجارب الشخصية والجماعية، لدرجة أنه نادرًا ما يُذكر أو يُدرك كيف مثل ظهور هذه الفئة الجديدة من الفكر تحولًا اجتماعيًا كبيرًا. تضمن هذا التحول الاعتراف بإمكانية عودة الماضي المؤلم إلى الظهور في الحاضر، غالبًا من خلال أعراض غير مباشرة، وفترات صمت، وأنماط متكررة من التفكير والانفعال. وقد أوجد هذا التحول مفردات جديدة لشرح المعاناة، وللتعامل معها كإصابة تتطلب العلاج، وكمورد يمكن حشده للمطالبة بالحقوق. كما خلق وضعية ضحية الصدمة، التي يمكن للمرء أن يتبناها كمريض للحصول على المساعدة، أو كفاعل سياسي للمطالبة بالتعويض والنضال من أجل حقوقه. وقد أصبحت هذه الصدمة جزءًا شائعًا من لغتنا اليومية، كما أنها تُشير إلى تحول في علاقتنا العامة بالماضي. هناك الآن اعتراف واسع النطاق بكيفية ترك العنف في الماضي آثارًا على الحاضر والمستقبل، وكيف يطاردنا الماضي، وكيف يجب أن نتذكر الظلم الماضي ونعمل على تجاوزه حتى نتمكن من تجنب تكراره. ولذا تُعد دراسات الصدمة الأدبية، فرعًا من فروع العلوم الإنسانية.

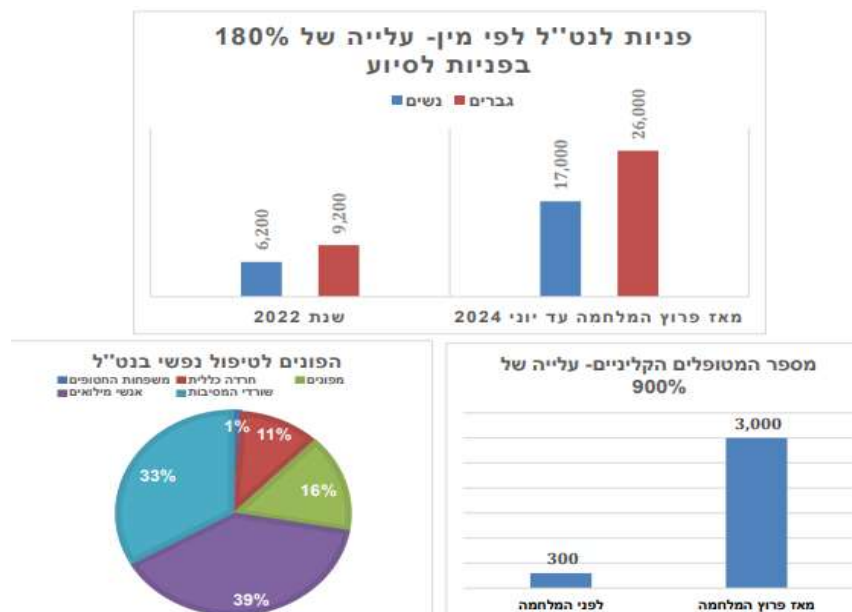
ثانيًا: الأثر النفسي لصدمة "حرب غزة" على المجتمع الإسرائيلي

أنشأت الحكومة الإسرائيلية مركزًا للمعلومات والمعرفة ضمن عملية لجمع المعلومات والبيانات (AMON) في الأسابيع الأولى من حرب غزة، التي أطلقت في نوفمبر ٢٠٢٣ في النظام الرقمي بالتعاون مع وزارات حكومية أخرى، نظام لجمع البيانات متعدد التخصصات من مختلف الوزارات الحكومية، مما يُمكن الحكومة من اتخاذ قرارات مبنية على البيانات. أصدر حتى الآن ما يقرب من ٧٠ تقريرًا أسبوعيًا والعديد من التقارير المركزة على صانعي القرار في القطاع العام.

تهدف هذه التقارير إلى تقديم صورة متعددة التأثيرات لحرب غزة على سكان إسرائيل. تتناول التقارير، بيانات مجمعة عن الضحايا وأنواع إصاباتهم، والوضع في المستوطنات، والوضع الاقتصادي، وإعمال الحقوق وثغرات تطبيقها، بالإضافة إلى عمليات إعادة التأهيل وثغراتها.

في التقرير التاسع المنشور بتاريخ ١٦-٩-٢٠٢٤ تحت عنوان "٢٠٢٤-٢٠٢٥
מצב בריאות הנפש לאור המלחמה في دائرة الضوء- تقرير حالة عن الصحة النفسية
في ظل الحرب" (١٦٤٤، ٢٠٢٤)؛ ويلخص هذا التقرير تأثير الحرب على المجالات
التالية: ما بعد الصدمة، القلق والاكتئاب وانخفاض المزاج، الإدمان.
رصد التقرير العديد من المعلومات التي تلقي بظلالها على الوضع النفسي للمجتمع
الإسرائيلي، ومنها:

١- منذ اندلاع الحرب، قفز عدد الأشخاص الذين يطلبون المساعدة النفسية بنسبة
١٠٠%، ٦٠% من طالبي المساعدة هم من الرجال، والعديد من المرضى هم من
جنود الاحتياط والناجين من الحرب (١٦٤٤، ٢٠٢٤، صفحة ٨).



٢- وفقًا لبيانات جهاز المخابرات العسكرية بهيئة أركان الجيش الإسرائيلي لشهر يوليو
٢٠٢٤؛ تم تسجيل ٣٧٠٧ ناجيًا في مؤسسات التأمين الوطني، بالإضافة إلى ١٨٣
حالة يتلقون العلاج من وزارة الدفاع. وتشتمل الحالات النفسية للناجين من الهجمات
إحساسًا بالضيق الشديد، وأعراضًا حادة لاضطراب ما بعد الصدمة، ونوبات انفعالية
متكررة، وارتجاعًا للذكريات، وكوابيسًا، واكتئابًا، وقلقًا، وصعوبات نوم كبيرة، وغيرها.

الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על הסף על החافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר מוטי לרנר".
د. نرمن صلاح القماح

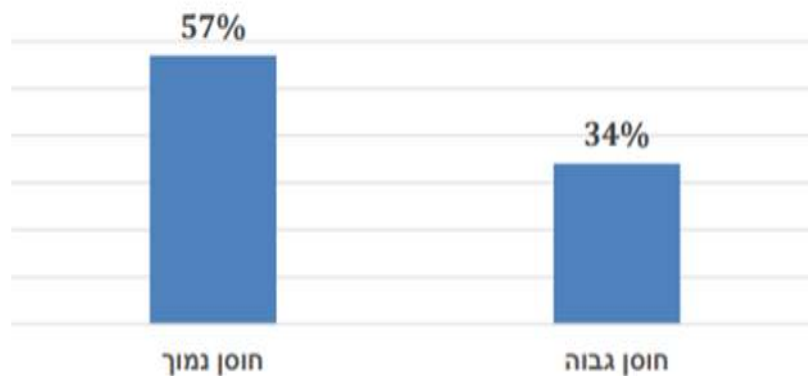
مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

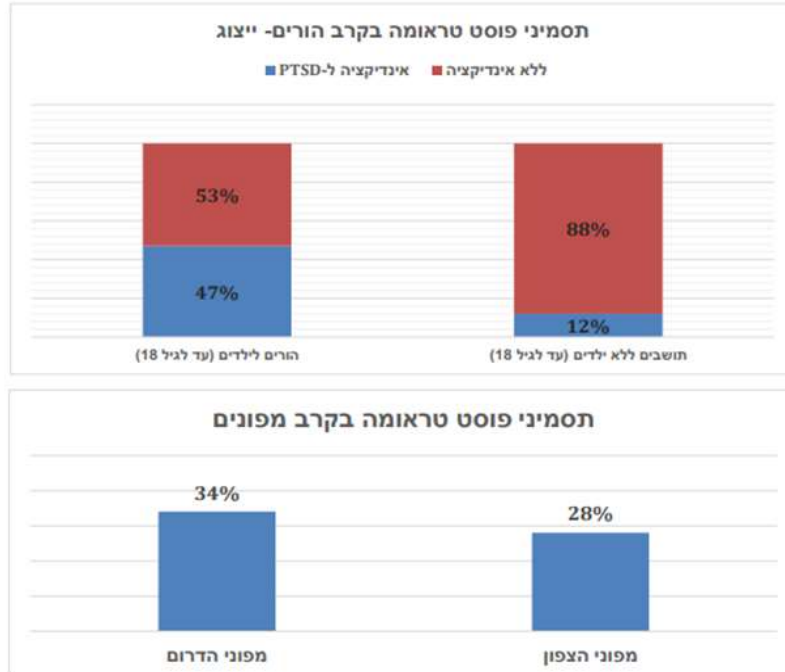
يواجه العديد من الناجين صعوبة في العودة إلى روتينهم اليومي وأدائهم، ويواجهون صعوبات كبيرة، خاصة عند العودة إلى العمل أو الدراسة (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ٨).

٣- بالنسبة للمقاتلين؛ تم إدخال ٨٦٦٣ جريحًا إلى جناح إعادة التأهيل، ٣٥% منهم يعانون من ردود فعل نفسية، ونصفهم مصابين باضطراب ما بعد الصدمة (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ٩).

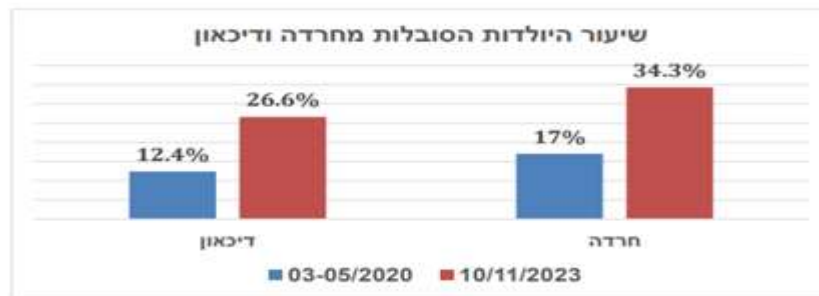
٤- تظهر بيانات الأبحاث الصادرة عن مركز المعرفة الإقليمي بشرق الجليل، ومن جامعة تل أبيب أن؛ المهجرون تظهر على العديد منهم أعراض اضطراب ما بعد الصدمة، وتبرز هذه الأعراض بين من تم إجلاؤهم بشكل مستقل، وبين آباء الأطفال (الأمهات بشكل رئيسي)، وبين المهجرين من المجتمعات ذات المرونة المجتمعية المنخفضة، كما ارتفع معدل الإصابة باضطراب ما بعد الصدمة بين سكان الشمال عن سكان الجنوب (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ٩).

אחוז התושבים עם סימפטומים של PTSD לפי חוסן קהילתי נתפס





٥- يعاني العديد من مواطني إسرائيل من مستويات متفاوتة من القلق عقب الأحداث، يُعد هذا استجابة طبيعية لحالة الطوارئ المطولة، وكقاعدة عامة، يعاني مواطنو إسرائيل من حالة مزاجية سيئة، وهي حالة لا تصل إلى الحد السريري؛ ولكنها حالة عاطفية تتميز بالحزن والقلق وانخفاض تقدير الذات والتعب والإحباط. الجدير بالذكر أنه قد تضاعفت معدلات القلق والاكتئاب بين الأمهات، وفقًا لدراسة أجرتها مستشفى سوروكا (١٠٢٤، ٢٠٢٤، صفحة ١٠)



٦- على الرغم من أن هناك دراسة تظهر انخفاضاً في انتشار أعراض الاضطرابات الثلاثة (القلق، الاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة)، إلا أن دراسة في جامعة تل أبيب أجريت منذ بداية الحرب أظهرت زيادة استخدام المواد المُسببة للإدمان بعشرات النسب المئوية، مع التركيز على المواد الأفيونية ومضادات القلق من نوع البنزوديازيبين (LTI، ٢٠٢٤، صفحة ١١، ١٢).

٧- في دراسة أجراها صندوق كلاليت للتأمين الصحي على ما يقارب ثلاثة ملايين مؤمن عليه، تم فحص بيانات استهلاك الحبوب المنومة، ومضادات الاكتئاب، ومضادات القلق، ومسكنات الألم المخدرة بوصفة طبية خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب. لوحظت زيادة كبيرة في استهلاك هذه الأدوية لدى عامة السكان، وصلت إلى أربعة أضعاف استهلاك مسكنات الألم لدى أبناء القطاع العربي، وتزيد نسبة الاستهلاك عند سكان قطاع غزة، والنازحين من الشمال، والبالغين الذين تبلغ أعمارهم ٦٥ عاماً فأكثر، والنساء (LTI، ٢٠٢٤، صفحة ١٢).

٨- بالنسبة للأطفال والشباب، حتى نهاية يوليو ٢٠٢٤ بلغ عدد الأطفال والشباب الذين جُند آباؤهم وأمهاتهم في قوات الاحتياط حوالي ٣٠٠ ألف طفل وشاب، وقد صنفت مؤسسة التأمين الوطني ١٩٩٠٠ منهم كضحايا لأعمال عدائية نتيجة للحرب، كما أفادت المؤسسة أن الغالبية العظمى منهم (٨٣%) تعرضوا لمقاطع فيديو قاسية وواجهوا صعوبات بعد مغادرة آباءهم للاحتياط، كما سُجلت زيادة بنسبة ٣٧% من مستوى أعراض الاكتئاب وزيادة بنسبة ٥٤% في مستوى أعراض القلق. كلما زاد التعرض لأحداث الحرب، زادت مستويات الأعراض النفسية والتدخين وتعاطي الكحول والمخدرات بين الشباب، في الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب سجلت زيادة بنسبة ٣٣% في عدد الفتيات، والفتيات الذين تتراوح أعمارهن بين ١٢ و ١٧ عاماً واللائي شخصتهن صناديق التأمين الصحي على أنهن يعانين من القلق. حوالي ٦٠% من الأطفال المُهجّرين أفاد آباؤهم أنهم يعانون من عدوانية خطيرة، بزيادة قدرها ٥٠% مقارنة بالفترة التي سبقت ٧ أكتوبر، ويعتقد الآباء أن الحرب كان لها تأثير سلبي للغاية على الحالة النفسية للأطفال وقدرتهم على الصمود، يعاني حوالي نصف الأطفال والمراهقين من أبناء

العائلات المهجرة من الأرق وفقدان الشعور بالأمان، بينما يعاني ثلث الأطفال من نوبات قلق وصعوبات اجتماعية وانطواء وصعوبات في الدراسة. (٧٦١، ٢٠٢٤، صفحة ١٣)

وجاءت من نتائج التقرير أن حرب غزة أدت إلى:

١- أصبحت نسبة كبيرة جدًا من السكان معرضة لخطر الإصابة باضطرابات نفسية متنوعة، أبرزها اضطراب ما بعد الصدمة، اضطرابات القلق، والاكتئاب، والإدمان.

٢- سيعاني معظم المواطنين من مشاعر صعبة بشكل أو بآخر، ولكن معظمهم سيتطور الوضع لحالة نفسية تتطلب علاجًا، وقد تصل الأعداد إلى عشرات الآلاف.

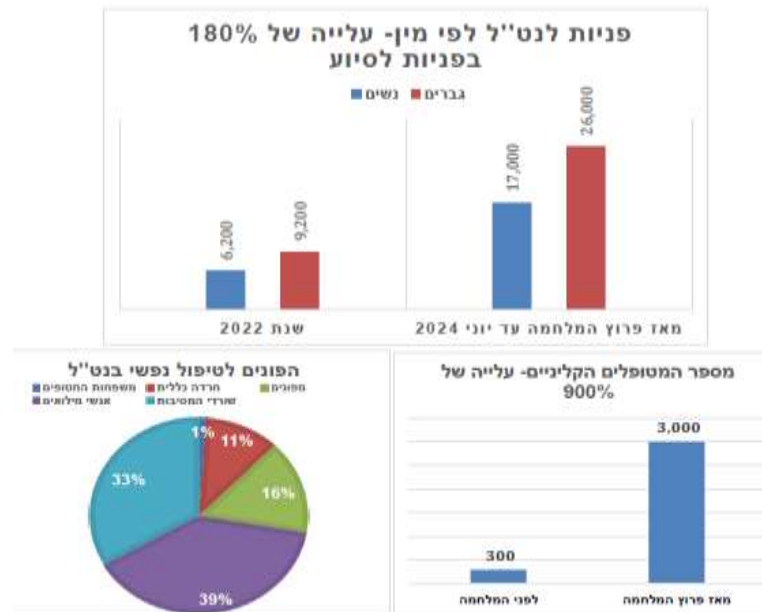
٣- أثرت الحرب على شرائح كبيرة جدًا من السكان، لا سيما أولئك الذين تعرضوا لأحداث بشكل مباشر، والذين تعرضوا لمحتوى صعب عبر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، وبالطبع عائلات القتلى. كما يتبين ذلك من التقارير التي تعبر عن قفزة هائلة في عدد طلبات المساعدة النفسية.

٤- تُظهر البيانات زيادة بنسبة ٩٥٠% في المكالمات المتعلقة بالاكتئاب والضيق النفسي والصدمة والفقد مقارنة بذات الفترة من العام الماضي. ومع تقدم الحرب، كانت هناك زيادة في المكالمات؛ أكثر من ٤٠٠٠٠ من هذه المكالمات كانت من أطفال وشباب تحت سن ٢٤ عامًا، منهم ٦٠% فتيات، و ٤٠% فتيان. تناولت المكالمات استفسارات عن الألم النفسي والاكتئاب والقلق والصدمات النفسية (٥٨٨، ٢٠٢٤).

٥- في بيانات جمعية ناتال، جميع السكان (ليس فقط الأطفال والمراهقين)، تكون النسبة معاكسة ٦٠% من المتصلين من الرجال، و ٤٠% من النساء. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك زيادة بنسبة ١٠٠% في عدد المرضى الفعليين في الوحدة السريرية للجمعية. حوالي ٣٩% من المتقدمين للحصول على العلاج هم من جنود الاحتياط، وثلثهم من الناجين من الحرب (٨٧٦، ٢٠٢٤).

الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על הסף על החافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר מוטי לרנר"
 د. نرمين صلاح القماح

مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية



ثالثاً: أهم الاضطرابات النفسية الناتجة عن "صدمة حرب غزة" في المجتمع الإسرائيلي

١- اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)

يظهر هذا الاضطراب كرد فعل متأخر أو ممتد لحدث ذو طابع يحمل صفة التهديد أو الكارثة الاستثنائية، وينتظر منه أن يحدث ضيقاً عاماً لأي شخص (على سبيل المثال كارثة طبيعية، أو اعتقال، أو تعذيب، أو حرب، أو حادثة جديدة، أو مشاهدة موت آخرين موتاً عنيفاً). وتتضمن الأعراض نمطية نوبات من الذكريات الاقتحامية (ارتجاجات زمنية) مع أحلام أو كوابيس، والتي تحدث على خلفية مستمرة من إحساس التبدل الانفعالي، عدم الاستجابة للعالم المحيط، عدم الإحساس بالمتعة مع تجنب النشاطات والمواقف التي تذكر بالحدث، فرط يقظة، ونشاط بالجهاز العصبي اللاإرادي. كما أن التفكير بالانتحار ليس نادراً، وقد تزداد الحالة تقيداً باللجوء إلى العقاقير أو الإفراط في تعاطي الكحول، وتبدأ الحالة بعد ركون قد تتراوح بين بضعة أسابيع وشهور ونادراً ما تتجاوز ستة أشهر (عكاشة، ٢٠١٤، الصفحات ١٩٠-١٩١).

تُعرف الرابطة الأمريكية للطب النفسي "اضطراب ما بعد الصدمة" بأنه "التعرض لحادث صادم أو سلسلة من الأحداث الصادمة. غالبًا ما يشعر الفرد بأن الحدث، أو الأحداث مؤذية عاطفيًا، أو جسديًا، أو مهددة للحياة. تشمل الأمثلة، الإساءة (الجسدية، الجنسية، العاطفية)، والكوارث الطبيعية، والحوادث الخطيرة، والأعمال الإرهابية، والتعرض للحرب/القتال، وعنف الشريك الحميم، والأمراض". مع ذلك، فإن معظم الأشخاص الذين يتعرضون لصدمات لا يصابون باضطراب ما بعد الصدمة. يعاني العديد من الأشخاص الذين تعرضوا لحدث صادم من أعراض مشابهة لاضطراب ما بعد الصدمة في الأيام التي تلي الحدث. ومع ذلك، لتشخيص الشخص باضطراب ما بعد الصدمة، يجب أن تستمر الأعراض لأكثر من شهر وأن تُسبب ضائقة شديدة أو مشاكل في أداء الفرد اليومي. تظهر الأعراض لدى العديد من الأفراد في غضون ثلاثة أشهر من الصدمة، ولكن قد تظهر الأعراض لاحقًا، وغالبًا ما تستمر لأشهر، وأحيانًا لسنوات. غالبًا ما يصاحب اضطراب ما بعد الصدمة حالات أخرى ذات صلة، مثل الاكتئاب، وتعاطي المخدرات، ومشاكل الذاكرة، وغيرها من مشاكل الصحة الجسدية والنفسية (إيغان، 2025، American Psychiatric Association)

نُشرت بيانات الدراسة المطولة التي أجراها مركز دراسة الانتحار والألم النفسي في مركز روبيين الأكاديمي بعد أقل من شهرين من اندلاع الحرب، عندما كانت نسبة السكان الذين يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب والقلق مرتفعة بشكل خاص. هذه الأرقام في اتجاه تنازلي حاليًا: إذ كان معدل المصابين باضطراب ما بعد الصدمة في نوفمبر ٢٩.٨٪، فقد انخفض بالفعل في يونيو إلى ٢٢.٨٪. وأيضًا كانت نسبة المصابين بالاكتئاب ٤٤.٣٪ وانخفضت إلى ٢٦.٢٪، وكانت نسبة المصابين بالقلق ٤١.٤٪ وانخفضت إلى ٢٥.٢٪. من ناحية أخرى، تشير نتائج الدراسة إلى فجوات عميقة في معدل الاضطرابات والأعراض النفسية بين أولئك الذين تعرضوا بشكل مباشر لأحداث ٧ أكتوبر والذين لم يتعرضوا لها: ٣٨.٥٪ يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة مقارنة بـ ١٨.٣٪، و ٤٤.٧٪ تظهر عليهم أعراض الاكتئاب مقارنة بـ ٢٣.٣٪ (إيغان، ٢٠٢٤، ٦٧-٦٨).

وفقًا لما نشره مركز الكنيست للأبحاث والمعلومات في دراسة نشرها حول مسألة تخطيط الدعم النفسي اللازم بعد حرب السيوف الحديدية (حرب غزة) في ١٢ نوفمبر

٢٠٢٣، أن اضطراب ما بعد الصدمة يظهر على ثلاثة أشكال (بلنك، ٢٠٢٣، ع٢٣٠):

١- إعادة تجربة الحدث أو الأحداث الصادمة على شكل ذكريات حسية اقتحاميه (ذكريات استرجاعية أو كوابيس)، يمكن أن تحدث هذه العملية من خلال حاسة واحدة أو أكثر، وتتميز بمشاعر قوية أو مضطربة، وخاصة الخوف أو الرعب، وردود فعل جسدية قوية.

٢- تجنب الأفكار المتعلقة بالحدث أو الأحداث الاسترجاعية، وتجنب الأنشطة أو المواقف أو الأشخاص الذين يذكرون المصاب بالحدث.

٣- الإدراك المستمر لتهديد قائم ومستمر، أو استجابة زعر متزايدة لمحفزات مثل الضوضاء غير المتوقعة.

الفئات الأكثر تعرضاً لهذا النوع (المعالجون النفسيون، الإخصائيون الاجتماعيون، المستشارون، الممرضون)، ومهن الطوارئ (المسعفون، الشرطة، فرق التحقيق، رجال الإطفاء، قوات الأمن)، وأفراد عائلات الضحايا والمختطفين (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ١٨).

الناجون من الحرب من أبرز الفئات المعرضة للإصابة باضطراب ما بعد الصدمة، نظراً لتعرضهم لأصعب الأحداث التي يمكن تخيلها لساعات طويلة. حيث سُجل من أول يوليو ٣٧٠٧ ناجٍ في مؤسسة التأمين الوطني، بالإضافة إلى ١٨٥ جنديًا تلقوا العلاج من الجيش الإسرائيلي بإجمالي ٣٨٩٢ ناجٍ. هذه الأرقام ليست نهائية، لأنها تضم فقط أولئك الذين طلبوا الاعتراف في مؤسسة التأمين الوطني (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ١٨).

وفقاً لجمعية القلب الأمن، تشمل الحالة النفسية للعديد من الناجين أعراضاً حادة لما بعد الصدمة، وذكريات الماضي، والكوابيس، والاكتئاب، والقلق، وصعوبات كبيرة في النوم (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ١٩).

ولأن الحرب مستمرة، ففي كل يوم ترد تقارير عن قتلى ومصائب، ومختطفين، والعديد من جنود الاحتياط ما زالوا في الحرب، ولا تزال الشهادات ومقاطع الفيديو حول الحرب تغمر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، ولذلك يُقدّر الباحثون أنه من بين أولئك الذين تعرضوا بشكل مباشر لأحداث ٧ أكتوبر سيصاب ما بين ١٣٥٠٠

و ٥٧٥٠٠ شخص باضطراب ما بعد الصدمة لأسباب مرتبطة بالحرب (كالنازحين، أو من شاهدوا مقاطع فيديو مؤلمة) (٢٠٢٤، ص ٢٥).

٢- القلق والاكتئاب

سنتناول هنا تأثير الحرب على القلق والاكتئاب، وفقاً للبروفيسور "إيال بروختير آييل فروكسر" من الائتلاف الوطني للصدمة، هناك ١.٤ شخص مصاب باضطراب ما بعد الصدمة مقابل كل شخص مصاب بالقلق أو الاكتئاب (٢٠٢٤، ص ٢٧).

القلق يعتبر من أكثر الحالات النفسية انتشاراً حيث تقدر نسبة الإصابة بين ١٠-٣٠%، وللقلق علامات نفسية مثل الخوف والترقب، وأعراض بدنية في صورة اضطراب في وظائف الجسم (الشربيني، ٢٠٠٦، ص ١٥). القلق يصف حالة شعور قوي بالتوتر أو الخوف، ولا يرتبط دائماً بسبب واضح أو مباشر، على عكس الخوف الذي هو استجابة عقلية فورية للخطر، ولذلك فالقلق حالة مستمرة قد تحدث حتى في غياب تهديد واضح. وتشمل أعراض القلق: تسارع ضربات القلب، التعرق، الارتعاش، صعوبة التنفس، الشعور بالأرق، الخوف، والتوتر، والقلق، وصعوبة السيطرة على القلق والأفكار الغريبة، تجنب الأنشطة اليومية مما يؤثر سلباً على جودة الحياة، وقد يزيد من اضطرابات أخرى مثل: رهاب الأماكن العامة (٢٠٢٤، ص ٢٧).

أما الاكتئاب فهو حالة نفسية تتميز بالشعور بالحزن العميق واليأس وفقدان الاهتمام بالأنشطة اليومية، قد يعاني المصابون بالاكتئاب من التعب، وانخفاض الطاقة، وتغيرات في الشهية، وصعوبات في التركيز، وأفكار الموت أو الانتحار. في الحالات الشديدة، يمكن أن يكون التأثير على الفرد مدمراً، ويتطلب علاجاً متخصصاً (٢٠٢٤، ص ٢٧).

ارتفاع نسبة القلق والاكتئاب من أبرز نتائج الحرب النفسية على عامة السكان، في معظم الدراسات التي أجريت في الشهور الأخيرة حول تأثير الحرب على الصحة النفسية، ظهر ارتفاع واضح في القلق والاكتئاب كنتيجة رئيسية.

وفقاً للبروفيسور "جيل سالزمان גיל זלצמן" - مدير مركز "جها גהה" للصحة النفسية، يعاني ٥٥% من السكان من القلق بمستويات مختلفة، مقارنة بنسبة ١١.٤% سابقاً، ويعاني ٢٣% من القلق المُعرف بأنه متوسط أو شديد. كذلك من المهم توضيح معنى "انخفاض الحالة المزاجية" وهو المفهوم الذي رافق المواطنين الإسرائيليين خلال

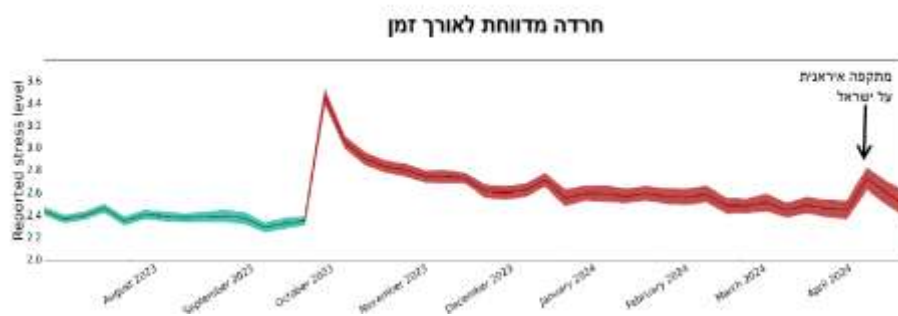
الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על חסד" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר" موطي لرنر

مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

فترة الحرب؛ هو حالة عاطفية تتميز بالحزن والقلق وانخفاض تقدير الذات والتعب والإحباط. وفي الحالات الشديدة يمكن أن تصبح الحالة مستمرة وتؤثر على الحياة اليومية لدرجة تفاقمها إلى الاكتئاب (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ٢٨).

في دراسة أجرتها جامعة أربيل منذ بداية الحرب أن ٢٤% أفادوا بمستويات متوسطة من انعدام الحافز والشعور باليأس، بينما أفاد ٢٩% بمستويات عالية من الاكتئاب، وأفاد ما يقرب من نصفهم بمستويات عالية من التوتر. أما استطلاع آخر أجراه معهد الديمقراطية الإسرائيلي على ٦٠٦ من المشاركين، بعد حوالي شهر من هجوم حماس، أفاد ما يقرب من نصفهم (٤٦%) بانخفاض الإنتاجية نتيجة لليأس (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ٢٨).

في الأشهر الأخيرة، بدا على الإسرائيليين بعض التحسن مع انخفاض حدة الحرب واعتياد السكان على روتين الطوارئ، ويمكن ملاحظة ذلك في الدراسة التي أجراها البروفيسور "إيريز شموئيل ٢٦٨ ٢٧٧" والبروفيسور "دان يامين ٦٦ ٦٦" من مركز "Wizermed" والتي بدأت في نهاية عام ٢٠٢١، وتفحص الحالة النفسية لمجموعة تجريبية على مدار الوقت من خلال الساعات الذكية واستبيانات الرأي، وتكمن قوتها في أنها بدأت منذ اندلاع الحرب عندما ازداد شعور السكان بالتوتر النفسي، وأنه لا يزال أعلى من المعتاد، ويتضح أنه يوم الهجوم الإيراني شهد ارتفاعاً متزايداً في جميع المؤشرات محل الدراسة (القلق - جودة النوم - المزاج - عدد الخطوات اليومية) (٧٢١، ٢٠٢٤، صفحة ٢٩).

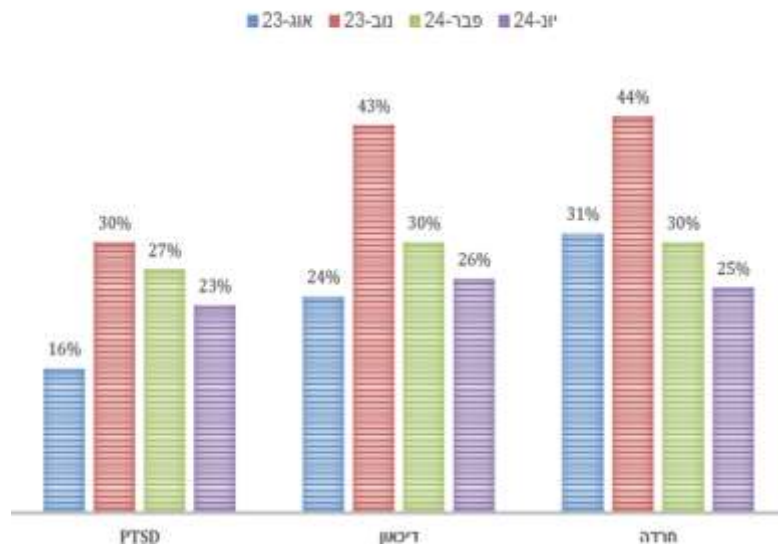


وفقاً للبيانات التي قدمها معهد الطب الشرعي في جلسة نقاش عقدت في لجنة الصحة بالكنيست، سُجلت ٢١٧ حالة انتحار مشتبه بها بين أكتوبر ٢٠٢٣ ونهاية عام ٢٠٢٤، مقارنة بمتوسط ٢٤٢ حالة سنوية بين عامي ٢٠١٧ و٢٠٢٣. وتُمثل بيانات

المعهد حوالي ثلثي الحالات في إسرائيل، ولا تشمل الوفيات في المستشفيات وجيش الدفاع الإسرائيلي، ووفقاً لوزارة الصحة، ينتحر ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ شخص سنوياً في إسرائيل، و ٧٠٠٠ محاولة انتحار سنوياً تصل إلى قسم الطوارئ. وقالت القائمة بأعمال رئيس اللجنة بالكنيست- النائبة كاتي شطريت- إلى أن العديد من الذين تعرضوا للهجوم في ٧ أكتوبر سيعانون من اضطراب ما بعد الصدمة. ووفقاً للدراسات قد يُصاب ٥٠ % من المصابين باضطراب ما بعد الصدمة بالاكتئاب، وقد يُصاب بعضهم بالاكتئاب المقاوم للعلاج (٢٠٢٥، ١٧١٨).

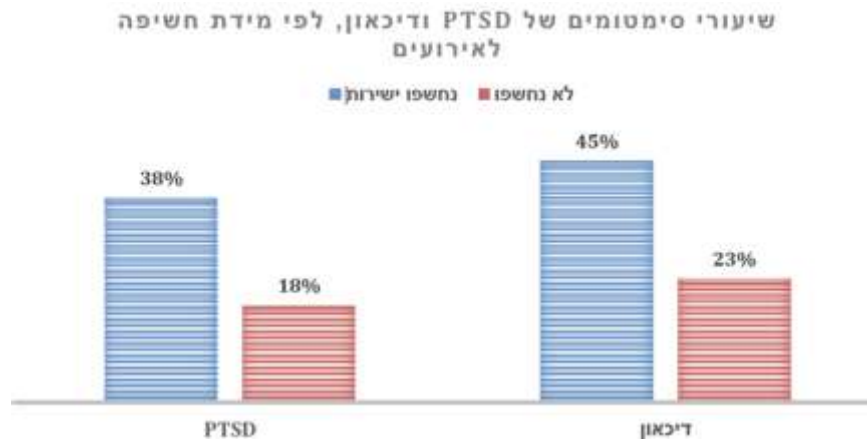
في دراسة أجراها مركز أبحاث الانتحار في مركز روبين الأكاديمي، فُحصت مؤشرات مختلفة للصحة النفسية في أربع فترات زمنية: ٢٣ من أغسطس ٢٠٢٣، ونوفمبر ٢٠٢٣، وفبراير ٢٠٢٤، ويونيو ٢٠٢٤، من المؤشرات التي تم فحصها الاكتئاب والقلق واضطراب ما بعد الصدمة والاضطرابات النفسية الأخرى مثل الصعوبات العاطفية والضيق. وقد وُجد أن معدلات أعراض القلق والاكتئاب قد زادت بشكل ملحوظ في الشهر الذي تلى الحرب (٢٠٢٤، ٧٢١، صفحة ٣٠).

שכיחות של הפרעות נפשיות בארבע נקודות זמן



الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על הסף על החافة" (٢٠٢٤) للكاتب
 "מוטי לרנר" د. نرمن صلاح القماح

مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية



ومن المهم الإشارة إلى أن الدراسة وجدت فجوات عميقة بين من تعرضوا بشكل مباشر لأحداث السابع من أكتوبر، ومن لم يتعرضوا لها.

حالات الانتحار في الأشهر الأولى من الحرب تُشير إلى زيادة في حالات الانتحار، في فحص أجرته وزارة الصحة أظهر أن متوسط حالات الانتحار في الأشهر الخاضعة للفحص (أكتوبر حتى ٢٣ ديسمبر) كان أقل من متوسط هذه الأشهر في السنوات السابقة، وتفسر ذلك أن دفع الناس لحالة الطوارئ والتربح للبقاء على قيد الحياة هو عامل يحمي مؤقتًا من الميول الانتحارية، وتزيد الحالات الانتحارية في نهاية حالة الطوارئ.

وجدت دراسة أخرى أجريت في إسرائيل بعد أسابيع قليلة من اندلاع الحرب زيادة بنسبة ٣٤٪ في استخدام المواد المسببة للإدمان - تم تسجيل زيادة في استخدام التبغ بين ١٦٪ من المشاركين، والكحول بين ١٠٪، والأفيونيات بين ١١٪، وحجوب النوم بين ١١٪ (Feingold, Yuval Neria, & Dana Tzur Bitan, 2024)

لا يمكن حاليًا التنبؤ بما إذا كانت هناك زيادة كبيرة في الوفيات بسبب استخدام هذه المواد، ولكن هذا بمثابة ضوء تحذير حيث كانت هناك زيادة مقلقة في استخدام المواد المعروفة بإمكانية حدوث أخطار عالية. وتعد أدوية القلق - وفقًا للبروفيسور جيل سالزمان، رئيس المجلس الوطني للوقاية من الانتحار، فقد حدثت زيادة في استخدام

المهدئات وأدوية القلق منذ اندلاع الحرب. من المهم ملاحظة أن أكثر أدوية القلق شيوعاً هي من عائلة البنزوديازيبين- قد تسبب الأدوية من هذه العائلة اعتماداً جسدياً ونفسياً. عند إيقاف علاج البنزوديازيبين بسرعة، وليس تدريجياً، بعد تناوله يومياً أو لفترة طويلة، قد يُسبب ذلك أعراض انسحاب، تُشبه أعراض الانسحاب من أدوية الإدمان الأخرى. في بعض الأحيان، قد يُسبب التوقف المفاجئ بعد استخدام البنزوديازيبينات لفترات طويلة تأثيراً ارتدادياً، والذي يتجلى في زيادة القلق الأصلي والآثار الجانبية العصبية.

أجرت جامعة تل أبيب ومؤسسة "الصحة בריאה" دراسةً بين مارس ويونيو ٢٠٢٤ حول تأثير الحرب على النساء في إسرائيل، مُقسّمةً إلى نساء أُخلين ونساء لم يُخلين، استناداً إلى تقارير مستقلة من النساء. وُجد تدهورٌ ملحوظٌ في الحالة النفسية والصحية للنساء، وخاصةً بين اللواتي أُخلين. ويتمثل هذا التدهور في معاناةٍ شديدة، وتدهورٍ في الحالة الصحية، وزيادةٍ حادةٍ في تعاطي المخدرات والمواد المُسببة للإدمان (IDU، ٢٠٢٤، صفحة ٣٤).



الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "لיל הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب
"מוטי לרנר" موطي لرنر

مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

وفقاً للبيانات الواردة، يُقدَّر أن عشرات الآلاف من المواطنين على الأقل سيحتاجون إلى مساعدة نفسية، سواءً في حالات اضطراب ما بعد الصدمة أو في علاج القلق والاكتئاب والتي تُعد استجابات مختلفة للأحداث. من المهم التأكيد على أن العديد ممن يحتاجون إلى المساعدة سواءً للعائلات التي كان معظمها حاضراً رقمياً في أحداث ٧ أكتوبر، أو المواطنين الذين تسببت الأحداث في تدهور حالتهم النفسية السابقة. وفيما يتعلق بمعالجة الجيش الإسرائيلي لقضية الميول الانتحارية لدى المجندين وضباط الجيش، صرح المقدم "يجيل شرعفي" "גל שרעפי" رئيس شعبة الصمود في الجيش الإسرائيلي، بأن حوالي ربع مليون جندي خضعوا لـ "أيام المعالجة" بعد القتال، وذلك لمنع القمع والتطور الحاد لصدمة قتالية، وهي عملية تتطلب مشاركة جميع جنود الوحدة بالإضافة إلى العلاج الفردي (אורלי، ٢٠٢٥).

رابعاً: تأثيرات "صدمة حرب غزة" النفسية على النص المسرحي "لיל הסף على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר" موطي لرنر

تمت كتابة المسرحية في الأصل على خلفية عملية "צוק איתן" أو الجرف الصاعد التي جرت في غزة في صيف عام ٢٠١٤. تم عرضها لأول مرة في مسرح يافا عام ٢٠٢٢. تمت كتابة هذه النسخة في صيف ٢٠٢٤ عقب أحداث ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ وحرب غزة التي اندلعت في أعقابها، الحبكة والشخصيات هي نتاج خيال المؤلف. مسرحية "ליל הסף على الحافة" دراما عائلية سياسية تركز على العلاقة بين الأب والابن، الأب هو صاحب دار نشر للكتب يحاول نشر مختارات تحتوي على قصص قصيرة على خلفية حرب غزة. الابن، الذي يدير دار النشر، يعارض عملية البحث عن الذات التي تقدمها المختارات. يكشف الصراع بينهما عن مواجهة أيديولوجية وأخلاقية تركز على مكانة الأدب في حياتنا ودوره الحاسم في تطورنا كمجتمع. كما يقول الأب: عندما يغرق الأدب، يغرق كل شيء بعده.

تحمل المسرحية حمولة نفسية ثقيلة جداً، فهي ليست مجرد قصة عائلية، بل دراسة درامية للاضطرابات النفسية التي تخلفها الحرب وحالة فقدان التي يعيشها المجتمع من أثر الحرب. التحليل النفسي يمكن تقسيمه إلى عدة مستويات:

١ - الزمان

تدور الأحداث في ثمانية أسابيع (أكتوبر - نوفمبر ٢٠٢٤)، مباشرة بعد وفاة ريفكا. ينقسم الزمان إلى نوعان: الزمان النفسي للنص وهو ليس مجرد "تاريخ"، بل هو مرحلة ما بعد الصدمة الجماعية (حرب غزة ٢٠٢٣). وتظهر معالم الزمن النفسي في النص

مشحونة بمشاعر التأجيل، والتكرار، والاسترجاعات الموجودة في بداية كل مشهد (الFLASH باك)، حيث يختلط الحاضر مع الماضي عبر مونولوجات ريفكا. من المنظور النفسي يعتبر الزمن متجمداً في دائرة الحزن (عند توفيا)، وممزقاً بذكريات الماضي الصادم (عند إيتان).

٢- المكان

المكان كرمز نفسي يعني أن للمكان معنى يتجاوز مجرد كونه موقعاً جغرافياً، فهو يحمل شحنة عاطفية أو ذكرى مرتبطة بتجربة معينة في حياة الشخص. يمثل المكان القاعدة الأساسية التي يركز عليها العمل الدرامي، فهو يؤدي دوراً كبيراً في احتضان أحداث الدراما وزمنها وشخصها، ويلعب المكان بأشراكه مع العناصر الروائية الأخرى دوراً أساسياً في البناء والتشكيل السردى. سواء أكان هذا المكان واقعياً حقيقياً أم تخيلياً فإن قيمته تزداد أهمية بمدى قدرة الكاتب نفسه على خلقه وتصويره والتعبير عنه أو به، وصياغته صياغة جديدة تؤكد دوره الفعال ووجوده الحي، إذ تعطي قدرة الكاتب على خلق المكان الدرامي، وصياغته للأحداث والشخصيات من خلال العلاقة الجدلية التي تربط بينه وبين عناصر النص الدرامي، وبهذا لا يمكن فهم أي عنصر من عناصر السرد الأخرى من دون تصورها ضمن إطار مكاني، لأنه هو كل شيء في الدراما، إذ يجسد المكان الحاضنة الاستيعابية التي تتحرك فيها الشخصيات وتتفاعل معه، وأي نص مهما كان جنسه الأدبي لابد أن يتوافر على هذا العنصر ما دام فعل الحكيم هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه (جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية، ٢٠٠٨، صفحة ٢٨).

تتنوع الأماكن في النص المسرحي "على الحافة" ما بين الأماكن المغلقة والمفتوحة، وتتنوع المشاعر التي تحملها ما بين القبول والرفض. فنجد الأماكن ما بين غرفة الضيوف (المعيشة)، قبر "ريبكا"، المطبخ، المكتب، المستشفى، ساحة الحرب.

أ) غرفة المعيشة

تدور معظم المشاهد في غرفة الضيوف بالمنزل، فهي الساحة الرئيسية للصراع بين الأب "توفيا" والابن "إيتان"؛ تبدأ المسرحية بوصف لغرفة المعيشة بأنها فارغة، تُعزف بها الموسيقى الكلاسيكية بينما يرن جرس الباب، تبدأ المسرحية بمشاعر العزلة النفسية لـ "توفيا" الذي يجلس وحيداً يستمع للموسيقى في صمت، ويسترجع ذكرياته مع

"ريفكا"، في حين يدفعه "إيتان" على استحياء للانخراط مجددًا مع العالم الخارجي. يظهر الصراع صريحًا بين الأجيال: حيث يتهم إيتان والده بالهرب داخل هذه الغرفة والبقاء مع ذكريات الماضي، بينما الابن يحاول إخراجه إلى الفناء الخلفي حيث الشمس والدفء (من خلال العشاء مع العائلة)، إصرار "توفيا" على إغلاق باب الغرفة بإحكام يكشف رغبته في الابتعاد عن الواقع، أو مواجهته بشيء من الهلوسة.

وعلى الرغم من كون "غرفة المعيشة" مكانًا مألوفًا للشخصيات لكنه يتحول إلى فضاء خانق مليء بالصمت والذكريات يعبر بوضوح عن مشاعر الاكتئاب التي عاشها "توفيا". غرفة المعيشة تعكس حالة الاحتباس النفسي، وكأنها عقل مغلق يعيش بين الماضي (الذكريات مع ريفكا) والحاضر (الخلافات مع الابن إيتان).

ب) القبر

يظهر مشهد القبر كلمسة نابضة بالألم والوداع الأخير، حيث يقف "توفيا" أمام قبر زوجته "ريفكا" ممسكًا بباقة زهور، متكئًا على مشاعره المكبوتة، دون عائلة سوى ابنه، هذا المكان الذي يشكل ذروة الحزن والمواجهة. الأرض التي تحتضن أغلى الذكريات، "توفيا" يرى في القبر نهاية وفقد، بينما "إيتان" يحاول تحويل هذا الفقد إلى عمل حي في شكل (كتاب منشور يحمل آخر ما كتبت ريفكا)

القبر يمثل مواجهة مع إحساس فقدان الزوجة (ريبكا) "אף פעם לא ידעתי איך להראות לה כמה היא יקרה לי. כמה אהבתי אותה. כמה היא עשתה למעני = لم أعرف أبدًا كيف أظهر لها مدى أهميتها بالنسبة لي. كم أحببتها. كم فعلت من أجلي" (لرنر، ٢٠٢٤، ص ١٩)، وأسباب فقدانها (الصمت الذي استبدلته بكتابه المختارات) "אני אגיד לך עוד משהו. אתה לא נקי ממה שקרה לאימא. לפני שהיא מתה, הסיפורים האלה בכלל לא עניינו אותך. גם לא ניסית לשכנע אותי לקרוא אותם. השתיקה שלך הכאיבה לה יותר מן הסירוב שלי. השתיקה שלך הרגה אותה = سأخبرك بشيء آخر. أنت لست بريئًا مما حدث لأمي. قبل وفاتها، لم تكن هذه القصص تثير اهتمامك على الإطلاق. ولم تحاول حتى إقناعي بقراءتها. صمتك ألمها أكثر من رفضي. صمتك قتلها" (لرنر، ٢٠٢٤، ص ١٥)، وإيمانها بـ "האמינה בכוח הספרות להיטיב את חיינו. قوة الأدب في جعل حياتنا أفضل" (لرنر، ٢٠٢٤، صفحة ٢٣) وهي العبارة التي كتبت على قبرها.

يمثل القبر الموت النفسي للأبطال، "ربيكا" ماتت نفسيًا قبل موتها جسديًا بسبب الحرب، و"توفيا" يعيش مشاعر الموت النفسي في فقد "ربيكا"، وفي أحداث الحرب المستمرة، الموت يحاصره في زوجته وأصدقائه، ومهما حاول الهرب يجده هو الطريق للخلاص من مشاعر الفقد.

ت) المطبخ

المطبخ في المسرحية هو القلب المنزلي الذي يشير إلى الحياة العائلية وأحوال العائلة، هو مملكة المرأة ودفء الأسرة النفسي، نجد أن الكاتب حول مصدر الدفء الأسري إلى برد نفسي يكشف التوتر الداخلي لتوفيا عندما يتوهم فيه صوت "ربيكا"، والأكثر رمزية أن يتحول المكان الذي يعد وسيلة للاستمرار في الحياة عن طريق إعداد الطعام، إلى مسرحًا لمحاولة الأب إنهاء حياته؛ إذ يعود "إيتان" مسرعًا في إحدى المشاهد إلى المطبخ ليجد والده غارقًا في دمائه بعد أن قطع معصميه بسكين. يكشف هذا التحول المأساوي للمطبخ كيف تحولت الحميمية المنزلية إلى مرآة للذنب واليأس؛ فالسكين وأواني الطبخ المتناثرة تصبح أدوات موت بدلًا من وسائل حياة. وبهذا يصبح المطبخ رمزًا مزدوجًا: موطنًا للدعم العائلي اليومي، ولكنه أيضًا وسيلة لنهاية مأساوية، عاكسًا التوتر النفسي بين الرغبة في البقاء ورغبة التلاشي لدى توفيا.

ث) غرفة المكتب

المكتب يرمز إلى العالم الخارجي ومسؤوليات الحياة، ويظهر كمكان غير حاضر على الخشبة، ولكنه محور نقاشات متكررة. يسعى "إيتان" منذ البداية إلى استنهاض والده إلى العمل من خلال المكتب؛ ويعكس هذا الطرح طموح "إيتان" للشروع في الالتزام المستقبلي والعمل بمؤسسة النشر التي أسسها الأبوان. أما "توفيا" فيعتذر بعبارة «عندي ما أقوم به هنا». يعكس هذا رفضه للتقدم والعودة للعمل في دار النشر كعلامة على انكفائه على الماضي والحزن. مما يعكس كيف أن المكان المادي (المكتب) يتحول إلى مرآة لاختبار تحولات الأب النفسية والصراع مع رغبته في إحياء الماضي ورفضه التجاوب مع واقع الحرب.

ج) المستشفى

المستشفى هو مكان الأمل والخلاص المحتمل مقابل الخضوع للألم، ويظهر تأثيره ضمنيًا ومباشرةً. ضمنيًا بعد محاولة الأب الانتحار أول مرة، حيث يتم نقله إلى

المستشفى وإنقاذ حياته، ويعود بعدها إلى المنزل، ولكنه رغم الألم لم يكف عن التفكير في اللحاق بزوجته "ريكا" لعدم قدرته على الحياة على ذكراها، وتحمل الحياة مع ويلات الحرب. وفي المرة الثانية التي أراد الأب الانتحار يرفض أي مساعدة جديدة رغم حاجته إليها. يطلب "توفيا" من ابنه في إحدى المشاهد "لا تأخذني إلى المستشفى! لقد فعلت كل شيء ممكن لتجعلني أعيش... دعني أنه حياتي بكرامة". على النقيض من ذلك، يعتبر إيتان المستشفى آخر وسيلة للحفاظ على حياة أبيه. وهنا تعكس (المستشفى) الصراع بين الحياة والموت، تعكس الحالة النفسية لمرضى الاكتئاب، وفقدانهم الرغبة في العيش أو التعافي.

ح) ساحة الحرب

على الرغم من أنها لا تُجسّد فعليًا على خشبة المسرح (الأحداث تدور غالبًا في البيت، الفناء، المكتب، القبر)، إلا أنها تحضر عبر المونولوجات التي تقرأها ريفكا في الظلام، وفي ذكريات إيتان الجندي السابق. حضورها المسرحي غير مباشر، لكنه كثيف ومشحون رمزيًا. وهنا تظهر ساحة الحرب بأكثر من معنى

أولاً: ساحة الحرب كجبهة داخلية للنفس

- الحرب في النص ليست مجرد مكان جغرافي (غزة، الشجاعة، الدبابات، الصواريخ)، بل تتحوّل إلى فضاء نفسي داخلي يسكن الشخصيات.
- ريفكا في مونولوجاتها تروي مشاهد الاحتراق داخل «الميركافا» والصرخات، لتكشف أن المعركة الكبرى تحدث في ذاكرتها، وليست فقط في الميدان.
 - هذه الحرب تتحول إلى ذاكرة متقدمة تلاحقها حتى في المستشفى: الألم الجسدي (الجبس، القسطة، الغرز) ليسوا سوى انعكاس للجروح النفسية التي لا تلتئم.
 - إذن، ساحة الحرب تصبح رمزًا لمكان لا يُغادر الشخصية حتى بعد مغادرته جسديًا. هي مثل ندبة داخلية مستمرة.

ثانيًا: ساحة الحرب كمخزن لمشاعر الذنب والخذلان

- إيتان، الذي فقد جنوده هناك، لا يتحدث عن الحرب كميدان شرف فقط، بل كمكان رسخ شعورًا بالفشل والذنب. هنا تتحول الحرب إلى قبر مفتوح داخلي يشعر أنه مسؤول عنه.

- الحرب تلاحقه حتى وهو في المكتب أو البيت، فتغدو مستعمرة نفسية داخل كيانه، لا يستطيع الخلاص منها.

ثالثاً: ساحة الحرب كرمز للانقسام الأجيال

- توفياً: يرى الحرب كـ «عار أخلاقي» و«مجزرة» شوهت صورة إسرائيل، ويريد أن يُخلد الأدب معاناة الضحايا.
- إيتان، على النقيض، يصرّ أن الحرب كانت «عادلة»، وأن الحديث عن عيوبها «يؤذي الجنود» ويهدد قدرتهم على الاستمرار.
- إذن، ساحة الحرب تتحول إلى ميدان صراع رمزي بين الأب والابن: هل هي مكان بطولة أم مكان سقوط إنساني؟ هذا الانقسام النفسي ينعكس في كل مكان آخر (البيت، المكتب، القبر).

رابعاً: ساحة الحرب كرمز للفوضى الداخلية والرغبة في الفناء

- أصوات الانفجارات، احتراق الجنود، الصراخ المتكرر في مونولوجات ريفكا، كلها عناصر تجعل ساحة الحرب رمزاً لانهيار الحدود النفسية: بين الحياة والموت، بين الواجب والرغبة، بين البقاء والانتحار.
- لذلك ليس غريباً أن ترتبط صور الحرب في النص بمحاولات توفياً للانتحار. فكما يذوب الجنود في ألسنة النار هناك، يذوب هو في صمته ودوائه هنا.
- ومن ثم يتحول المكان التخيلي في النص "ساحة الحرب" في المسرحية هي مكان نفسي أكثر من كونه جغرافياً:
- إنها ذاكرة لا تُمحي (ريفكا).
- جرح مفتوح للشعور بالذنب (إيتان).
- ميدان انقسام بين قيمتين: الأخلاق/الإنسانية (توفياً) مقابل البقاء/الأمن (إيتان).
- صورة مجازية للرغبة في الانطفاء والانتحار، حيث تتحول نار الحرب الخارجية إلى نار داخلية تآكل الشخصيات من الداخل.

٣- الشخصيات

أولاً: الشخصيات الرئيسية في النص الدرامي

توفياً (الأب، ٧٨ عاماً): تظهر على توفياً أعراض واضحة للاكتئاب منها: انسحاب اجتماعي، وفقدان شهية، ورغبة متكررة في الموت، وفقدان الاهتمام بالأنشطة الحياتية،

الميل إلى العزلة، كذلك التعلق المرضي بالذكريات والذي يظهر في الأحداث من خلال تمسكه بمشروع "المختارات" كوسيلة لمقاومة الفراغ بعد موت ريفكا، ومحاولة أخيرة لمواجهة الفشل السياسي. كما أن نزعاته الانتحارية ومحاولاته المتكررة لإنهاء حياته تعكس عجزه عن التكيف مع الحزن.

"טוביה: אני לא אמשך את המלחמה שלה בלעדיה.

איתן : לו היא שמעה אותך, היא הייתה מתאכזבת מאד.

טוביה : אתה טועה. אחרי שפרצה המלחמה, והיא קיבלה את התקף הלב

הראשון,

החלטנו שנעזוב את העולם הזה יחד. כשהיא מתה, לא היה לי אומץ. אולי

גם השליתי את עצמי שלספר הזה יהיה איזשהו ערך. לפני חודש

השתמשתי

בכדורים שלי. עכשיו אני רוצה להשתמש בכדורים שלה.

איתן : אימא אספה כדורים?

טוביה : אני מבקש שתיתן לי לבלוע אותם.

איתן : אתה לא יכול לבקש ממני דבר כזה.

טוביה : ושלא תפנה אותי לבית חולים. אתה לא אשם. עשית כל מה

שאפשר כדי

שאני ארצה לחיות. אתה הרבה יותר חזק ממה שחשבתי. גם הרבה יותר

חזק ממה שאתה חושב. תסתדר מצוין. תן לי לסיים את חיי בכבוד.

איתן : אתה לא סומך עלי שאעזור לך לחיות בכבוד?

טוביה : אני לא סומך על עצמי.

איתן : אבל אני יכול לעזור לך להיפטר מהמחשבות האלה.

טוביה : אתה יודע שלא תוכל לעצור בעדי.

איתן : החבאת את הכדורים של ה? החבאת אותם? איפה הם? תגיד לי

איפה הם.

(טוביה שותק) החיים שלך חשובים לי, אבא. הם חשובים גם לך.

= توفيا: لن أواصل حربها بدونها.

إيتان: لو أنها سمعتك، لكنت شعرت بخيبة أمل كبيرة.

توفيا: أنت مخطئ. بعد أن اندلعت الحرب، وأُصبت بأول أزمة قلبية، قررنا أن نترك هذا العالم معًا. عندما ماتت لم تكن لدي الشجاعة. ربما كنت أخدع نفسي أيضًا بأن هذا الكتاب سيكون له بعض القيمة. منذ شهر استخدمت الحبوب الخاصة بي. الآن أريد أن أستخدم حبوبها.

إيتان: أجمعت حبوب أمي؟

توفيا: أطلب منك أن تسمح لي بابتلاعهم.

إيتان: لا يمكنك أن تطلب مني شيئًا كهذا.

توفيا: ولا ترسلوني إلى المستشفى. أنت لست مذنبا. لقد فعلت كل ما بوسعك لتجعلني أرغب في العيش. أنت أقوى بكثير مما كنت أعتقد. وأيضًا أقوى بكثير مما تعتقد. سوف تنجح. دعني أنهي حياتي بكرامة.

إيتان: ألا تتق بي لمساعدتك على العيش بكرامة؟

توفيا: أنا لا أثق بنفسي.

إيتان: لكن بإمكانني مساعدتك في التخلص من هذه الأفكار.

توفيا: أنت تعلم أنك لا تستطيع إيقافني.

إيتان: هل قمت بإخفاء الحبوب؟ هل اخفيتهم؟ أين هم؟ أخبرني أين هم؟ (توفيا صامت) حياتك مهمة بالنسبة لي يا أبي. وهم يعتقدون ذلك أيضًا". (٦٦٦، ٢٠٢٤، صفحة ٢٣)

تظهر في الأحداث أن الحالة الصحية للأب تأثرت بشدة بالحالة النفسية ويظهر هذا جليًا في بؤابر الخرف أو الاضطراب الإدراكي من نسيان، وتشتت، وهلوسات سمعية (سماع صوت زوجته الراحلة).

إيتان (الابن، ٤٢ عامًا) تظهر على إيتان أعراض اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) منها: صدام متكرر، ذكريات اقتحاميه عن الجنود المحترقين، شعور بالذنب لبقائه على قيد الحياة بينما مات رجاله، اندفاعات غضب وإنكار متكرر لضعفه، يحاول النجاة عبر السيطرة من خلال إدارة دار النشر، فرض قراراته على والده، لكنه في العمق هش ومتصدع. يعيش صراعًا بين ولاءه للمؤسسة العسكرية وبين الاعتراف بفظائع الحرب.

ويظهر هذا الجزء من المسرحية اضطراب ما بعد الصدمة "ניסיתי בכל פעם
שהתחלתי، חטפתי כאב ראש. אני לא מסוגל יותר לחשוב על המלחמה
הארורה הזאת. שנה שלמה אני מנסה לשכוח אותה ואת מה שקרה בה. רק
אתמול הצלחתי סוף-סוף לקרוא את הסיפור על הקצין הזה, שנפצע
בשג'אעיה. עשרה חיילים שלו נלכדו בנמ"ר הבור. (משתתק) לי נשרפו
שם שישה חיילים בנמ"ר, בפעולה שבה קיבלתי את הצל"ש = لقد حاولت. في
كل مرة بدأت، شعرت بالصداع. لا أستطيع التفكير في هذه الحرب اللعينة بعد الآن.
لمدة عام كامل، كنت أحاول أن أنساها وأنسى ما حدث بها. بالأمس فقط تمكنت من
قراءة قصة هذا الضابط الذي أصيب في الشجاعة. لقد حُصر عشرة من جنوده في
المدرعة "ميركافا" المحترقة. (يتوقف للحظة) لقد احترق ستة من جنودي هناك في
المدرعة "ميركافا"، في العملية التي حصلت فيها على وسام الشرف" (لرנר، ٢٠٢٤،
صفحة ١١).

ريفكا (الأم/ الصوت الغائب/ وتمثل الضمير الانساني) تجسيد للذاكرة الصادمة،
مونولوجاتها تمثل فلاش باك (تكريات اقتحاميه للحرب). تمثل الضمير الأخلاقي في
النص من خلال رفض الإنكار، والتوثيق للألم. والتعبير عنها باستمرار صوتها طول
مشاهد النص يوازي حضورها كـ "شبح نفسي"، أو كرمز لما لا يمكن تجاوزه.

"أيتها: تגיד כבר. תגיד! זה תלוי ועומד בינינו מאז ההלוויה. זה כתוב

בעיניים

שלך. תגיד כבר. תגיד שאני הרגתי את אימא.

טוביה : לא אמרתי את זה.

איתן : אמרת בשתיקה שלך. בהתעלמות שלך ממני. בהלוויה אמרת

למוניקה

שאימא קיבלה את התקף הלב בגלל האנתולוגיה.

טוביה : לא אמרתי שהיא מתה בגלל האנתולוגיה. אמרתי שהיא מתה

בגלל

המלחמה. בגלל הצער על הנרצחים בקיבוצים. בגלל החטופים. בגלל הטבח

בעזה. בגלל שהיא איבדה את התקווה שנוכל לחיות כאן.

איתן : מוניקה הזדעזעה כשהיא שמעה אותך. אימא הייתה חולה. אני

לקחתי אותה

לבדיקות. אני ישבתי לידה בצנתור. אתה בכלל לא ידעת מה יש לה.

טוביה : היא לא רצתה להכביד עלי.

איתן : אבל עלי אפשר להכביד. נכון? אני יכול לשאת הכל על הכתפיים.

אני יכול

לשאת מלחמה. אני יכול לשאת מוות. שכול. אני יכול לשאת את ה

האשמה

שהפקרתי את התושבים בקיבוצים. שלא חילצתי את החטופים. שביצעתי

פשעי מלחמה. אתה טועה. אני לא יכול, ואני לא מתכוון לשאת הכל. ודאי

לא את ההאשמה הנבזית על מה שעשיתי לאימא.

טוביה : אני מוכן להישאר בבית, בתנאי שאתה...

איתן : ואתה לא תגרום לי להרגיש אשם. האנתולוגיה הזאת לא תצא

לאור. לא

בגלל שהיא גירעונית, אלא בגלל שהיא מסכנת את חיי החיילים שמנסים

לשרוד כאן. גם אותי. אני לא מוכן שאף אחד יתאבד בגללה.

= إيتان: أخبرني بالفعل. أخبرني! لقد كان هذا الأمر معلقاً بيننا منذ الجنازة. إنه

مكتوب في عينيك. أخبرني. قل إنني قتلت أمي.

توفيا: لم أقل ذلك.

إيتان: قلت ذلك في صمتك. بتجاهلك لي. في الجنازة، أخبرت مونيكا أن أمي

أصيبت بنوبة قلبية بسبب المختارات.

توفيا: لم أقل إنها ماتت بسبب المختارات. قلت إنها ماتت بسبب الحرب. بسبب

الحزن على القتلى في الكيبوتسات. بسبب الخاطفين. بسبب المجزرة في غزة. لأنها

فقدت الأمل بأننا نستطيع العيش هنا.

إيتان: لقد صدمت مونيكا عندما سمعتك. أمي كانت مريضة. أخذتها لإجراء

الفحوصات. جلست بجانبها أثناء عملية القسطرة. أنت لم تعرف حتى ما كان بها.

توفيا: لم تكن تريد أن تثقل علي.

إيتان: لكن يمكن أن أكون أنا من أثقلها. صحيح؟ أنا أستطيع أن أحمل كل شيء على كتفي. أنا أستطيع أن أتحمل الحرب. أنا أستطيع أن أتحمل الموت. الشكل. أنا أستطيع أن أتحمل اللوم على التخلي عن سكان الكيبوتسات. أنني لم أنقذ الرهائن. أنني ارتكبت جرائم حرب. أنت مخطئ. لا أستطيع، ولا أنوي، أن أحمل كل ذلك. بالتأكيد لن اتحمل هذه التهمة الدنيئة بما فعلته بأمي.

توفيا: أنا على استعداد للبقاء في المنزل، بشرط أن...

إيتان: أنت لن تجعلني أشعر بالذنب. لن تنشر هذه المختارات. ليس لأنها مهترئة، بل لأنها تُعرض حياة الجنود الذين يحاولون البقاء على قيد الحياة هنا للخطر. أنا أيضًا. أنا لن أسمح لأحد أن ينتحر بسببها" (٦٦٦، ٢٠٢٤، صفحة ١٤).

الثنائيات النفسية التي تمثلها الشخصيات الرئيسية:

- الحزن مقابل التكتيف: توفيا يريد الغرق في الحزن والانتحار، بينما إيتان يحاول الاستمرار لكنه مهدد بالانهيار.
- الذنب مقابل التبرير: إيتان يبرر الحرب، بينما يشعر بالذنب العميق داخليًا. توفيا يرى أن الذنب يجب مواجهته عبر الأدب.
- الحقيقة مقابل الإنكار: الجدل حول "المختارات" يرمز إلى الصراع بين مواجهة الواقع (توفيا/ريفكا) وإنكاره أو تجميله (إيتان).

الجانب الرمزي الجمعي الذي تمثله الشخصيات الرئيسية:

الشخصيات ليست أفرادًا فقط، بل تمثل أدوارًا نفسية لمجتمع بأكمله:

- توفيا = الذاكرة الأخلاقية والندم.
- إيتان = الجيل المقاتل الممزق بالصدمة.
- ريفكا = صوت الضحايا والشهود.

ثانيًا: الشخصيات الثانوية في النص الدرامي

في مختارات "ريفكا" التي تُفتح بها كل المشاهد، نجد أن الشخصيات الواردة داخل نصوصها ليست مجرد شخصيات قصصية، بل رموز نفسية عميقة تعبّر عن صراعاتها الداخلية هي نفسها، وعن الجروح الجماعية التي تحاول المسرحية تفكيكها.

الجندي المحاصر في "الميركافا"

- الرمز: هذا الجندي الذي يحترق داخل المدرعة هو صورة مكثفة لـ الصدمة المستمرة.
- نفسياً: يعكس إحساس ريفكا بالذنب الناجي (Survivor's Guilt) أنا على قيد الحياة بينما جنودي ماتوا.
- رمزياً: المدرعة المغلقة التي تتحول إلى قبر ناري تمثل العقل المحاصر في الذكريات، حيث يتحول الواجب العسكري إلى فخ موت لا مهرب منه.

المصاب في المستشفى

- الوصف: جسده ملفوف بالجبس، يعاني من القسوة، يطلب المورفين ويشعر بالعجز.
- الرمز: المستشفى هنا هو مسرح للانكشاف التام: جسد عارٍ أمام الأطباء والأهل، وأمام الذات.
- نفسياً: يرمز إلى الإخفاء الرمزي، فقدان القدرة على السيطرة أو الرجولة كما يتصورها، والعيش بين الألم الجسدي والعار النفسي.
- رمزياً: هذا المصاب هو مرآة خوف ريفكا من أن تتحول البطولة السياسية والعسكرية الإسرائيلية إلى عجز، ومن أن يرى المحارب كجثة حيّة.

الأب والأم الزائران

- الوصف: يأتون بالزهور، عاجزون أمام ألم ابنهم.
- الرمز: هما صوت الضمير الجمعي، جيل قديم عاجز عن احتواء الكارثة الجديدة.
- نفسياً: وجودهما يزيد التمزق: حضور حنون لكنه غير كافٍ، يعكس كيف أن العائلة لا تستطيع إنقاذ الجندي من جراح الحرب.
- رمزياً: الزهور ما هي إلا محاولات جمالية لمواجهة موت لا يُحتمل.

المرمضة

- الوصف: مطالبة بالمزيد من المورفين.
- الرمز: تُجسّد الاعتماد على التسكين بدل المواجهة.
- نفسياً: الممرضة تمثل الدولة/ المؤسسة الحاكمة التي لا تقدّم علاجاً جذرياً، بل مسكنات تُطيل العذاب.

- رمزياً: هي رمز لـ "سياسة التهدة" التي لا تعالج الصدمة، بل تديمها تحت السطح.
- الأصوات المفقودة/ الجنود الغائبون
- الوصف: أصوات الجنود الذين لم ينجوا، أو الذين تركوا ليحترقوا.
- الرمز: أشباح الماضي.
- نفسياً: هم اللاوعي الجمعي الذي يطارد ريفكا وإيتان. حضورهم الصوتي فقط يكشف أنهم غير مدفونين فعلياً، بل يسكنون ذاكرة الناجي.
- رمزياً: هؤلاء الجنود يرمزون إلى الثمن البشري المكبوت الذي ترفضه الدولة الاعتراف به صراحة.

شخصيات القصص الأخرى في المختارات (مثل المرأة المختطفة، المعلم الهارب، القائد الذي يغتصب صديقته)

- الرمز: هذه الشخصيات تمثل انهيارات مختلفة لذوات مأزومة بعد الحرب: فقدان السيطرة، العنف المنزلي، الانسحاب من المجتمع.
- نفسياً: كلها وجوه متعددة لاضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، تتجسد في صور متناقضة: صراخ، انسحاب، عنف.
- رمزياً: هذه الشخصيات تعمل كـ "مرايا نفسية" لريفكا وإيتان معاً: هي تتحدث بأصواتهم الداخلية المقموعة.
- وبهذا، تتحول مختارات ريفكا إلى سجل نفسي جماعي للحرب، يُقابل السرد الرسمي الذي يرفع البطولة بينما يغطي على الانكسار الداخلي.

٤- الأحداث تحليل للصراع بالنص - (البداية - الحكمة - النهاية)

سأقوم هنا بتحليل الصراع الدرامي في النص عبر ثلاث مراحل زمنية/درامية: البداية (الانطلاق) - التصاعد والحكمة (النقاط الوسطى) - الذروة والنهاية (الحسم أو الغموض الختامي). مع التركيز على الأبعاد النفسية، الأسرية، السياسية والرمزية.

أولاً: البداية - ما الذي يشعل الصراع؟ (الحافز والفضاء الدرامي)

الحادث المحرّك: موت ريفكا (الراحلة): المسرحية تبدأ مباشرة بعد جنازتها، وعلى وقع مونولوجاتها المنقطعة التي تُسمع كـ «أصداء» أو نصوص ضمن المختارات التي

رغبت بنشرها. هذه البداية تربط فقدان مباشرة بموضوع "الأدب والذاكرة"؛ فنشر مختارات ريفكا يصبح الوصية والنقطة التي تُختبر عندها القيم العائلية والمهنية .

تحديد الخصوم/مراكز التوتر: من جهة هناك **توفيا** (الزوج والأب/الناشر المتألم) الذي يريد إتمام وصية ربيكا، ومن جهة أخرى هناك **إيتان** (الابن، الضابط السابق) الذي يمثل المؤسسة العسكرية ونزعة التكتّم لحماية المجتمع. والفضاء الدرامي لهم يتمثل في (البيت/ المطبخ/ المكتب/ القبر) وهم ساحة مواجهتهما.

دلاليًا: البداية تضع تناقضين أساسيين كإطار للصراع طوال المسرحية:

- الأدب كفضاء لتذكّر وكشف الحقيقة مقابل السياسة/الأمن كفضاء للحماية وإبقاء الأسرار.
- الحزن الفردي (حقّ الحزن والحداد) مقابل واجبات الحياة العملية والمؤسساتية (العمل، السمعة، الأمن).

ثانيًا: الحكمة/التصاعد - كيف يتقاطع الصراع ويتعقد؟ (توسيع المضمون)

الحكمة مبنية على بنية زمنية صارمة: كل مشهد بعد أسبوع- هذا الإيقاع يُظهر بوضوح كيف لا يندمل الجرح، بل يعود مرارًا .

عناصر تصاعد الصراع

نزاع القيم (الأدب مقابل الأمن):

توفيا مُصرّ على نشر مختارات ريفكا لأنها تعبّر عن ضميره ورؤيتها للحرب والألم. إيتان يتخوّف من أن تكشف القصص عن ضعفٍ أو إخلال يعرّض الجنود/ البلد للخطر أو يقلّل من "ديمومة الثقة بالمؤسسة العسكرية". الحوار حول كمّ النسخ وطبيعة النشر يعكس هذا النزاع.

النزاع الداخلي عند الشخصيتين:

توفيا: الحزن يتحوّل إلى شعور بالذنب/ مسؤولية (يتهم نفسه بـ«الهزيمة» لكونه صامتًا سابقًا) ويصل إلى أفكار انتحارية واضحة ويرغب في تناول حبوب زوجته. هذا الصراع بين الرغبة في الوفاء لربيكا وبين الإحساس بالعجز يشتد حتى محاولة الانتحار.

إيتان: رجل مُحاط بجرح الحرب (خسارة جنوده، ذنب الناجي، ألم الخسائر)، فيظهر كـ "مدافع عن الجيش" لكنه أيضًا مُحمل بصراعات نفسية؛ دفاعه أحيانًا عن صورة الجيش هو دفاع عن ذاته ووجوده.

الضغوط الخارجية والمؤسسية:

الناشرون الآخرون، ورسامو السياسات العامة، وضغوط السوق، وموقف عائلات الجنود - كلها تظهر في الرسائل والمكالمات والمفاوضات حول الطبعة، وتزيد من الإحساس بالخنق أمام القرار الأخلاقي .

تطور المشاهد (آليات التصعيد)

التكرار الأسبوعي للحوار (الاستدعاءات المتكررة لموضوع النشر، مطالبة إيتان لوالده بالعودة للعمل، وإصرار توفيا على التوغل أكثر بالحزن) يُحوّل الخلاف من نزاع وظيفي/ مهني إلى نزاع وجودي: ليس مجرد "هل ننشر؟"، بل "هل قوة الأدب ستجعل حياتنا أفضل؟"

ثالثًا: الذروة والنهاية - نقطة الحسم وما بعدها (الذروة، السقوط، الغموض الختام)

الذروة الدرامية

المشهد المحوري هو محاولة توفيا الانتحار (قطع المعصمين/ابتلاع الحبوب) داخل البيت/ المطبخ. هذا فعل حاسم: ليس مجرد صرخة انفعالية، بل قرار — فعلٌ يضع الصراع كله على المحك: ما معنى الحياة مع كل هذا الألم؟ الحياة التي تدافع عن المؤسسة العسكرية.

دلالتُه: الانتحار هنا هو أقصى تعبير عن النكسة الداخلية - إنه رفض الاستسلام لقيم لا تشبه قيمه، ورغبة في إنهاء النزاع عبر إنهاء الذات. الفعل يجبر إيتان على التجاوب لرغبة الأب وعدم استدعاء الإسعاف وتركه يموت لينعم بالسلام.

ما بعد الذروة (السقوط/ الفعل التالي)

إيتان يحضر النسخة المطبوعة من مختارات ريفكا إلى البيت، أي أن النشر يتحقق فعليًا بينما الأب على حافة الموت. هذا الازدواج المؤلم يولد في لحظة انهيار إنساني.

النهاية في النص تبقى مشحونة بالغموض والتقتل المؤلم

إذا كان توفيا يموت فعلاً أم ينجو ليس جوهرياً بقدر ما أن النهاية تُركّز على السؤال الأخلاقي: هل نسمح للأدب بقول ما يجب قوله، حتى لو كان ذلك مؤلماً للمجتمع/الجيش؟ وهل للحقيقة ثمن إنساني يجب أن ندفعه؟

وهنا يمكن تحديد أنماط الصراع وأنواعها إلى:

صراع داخلي (شخصي/نفسي): حزن توفيا، شعوره بالذنب، رغبة الانتحار؛ وذنب إيتان وصداعه النفسي بعد الحرب .

صراع بين شخصين (أب/ابن): موقفان متضادان حول قيمة النشر، حول مفهوم الواجب تجاه المجتمع والعائلة .

صراع اجتماعي/سياسي: الكتاب كمحاولة لكشف جانب مظلم من الحرب مقابل خطاب وطني يدافع عن الوحدة والأمن؛ الناشرون والضغوط المؤسسية تعكس الخوف من نتائج الكشف.

صراع رمزي/أخلاقي: هل الأدب مسؤول عن التذكّر والاقتراب من الحقيقة، حتى لو أدى ذلك إلى ألم جماعي؟ أم أن الأدب عليه حفظ روابط المجتمع؟ هذا هو قلب الصراع الأخلاقي في النص.

المسرحية تجعلنا نرى الحرب ليس فقط كمشهد خارجي من دمار، بل كمجالٍ داخليّ يلتهم الضحايا الأحياء: ذنوب، صُمود، وفي بعض الحالات رغبة بالهروب النهائي. الصراع فيها ليس «قضية نشر أو عدم نشر» فحسب، بل اختبار لمعنى الإنسانية في زمن يضغط فيه الخطاب السياسي على الصمت. المشهد الانتحاري والنسخة المطبوعة للمختارات يعملان معاً كرمز: الذاكرة تُولد في ألم، والأدب قد يكون ثمنه حياة.

٥- الحوار

مسرحية "على الحافة" غنية بالحوارات التي تكشف البنية النفسية للشخصيات، والصراع بين الأجيال، وتجربة الحرب والفقد. إذا حللنا النص من حيث أنواع الحوار، يمكن تقسيمها كالآتي:

الحوار الخارجي (الديالوج)

- يتمثل في التبادل الكلامي بين توفيا وإيتان في معظم المشاهد.
- يظهر بشكل جدلي/صراعي حين يتجادلان حول: نشر المختارات، مسؤولية الحرب، وفاة ريفكا، أو حتى الحياة اليومية (الطعام، الاستحمام، تنظيف المنزل).
- وظيفة هذا الحوار: إبراز الصراع النفسي والفكري بين جيل الأب وجيل الابن، وإظهار التوتر بين واجب الذاكرة (توفيا) وواجب الاستمرار/النجاة (إيتان).

المونولوج (الحوار الداخلي/المونولوجات الفردية)

- يتجسد في أصوات ريفكا التي تُسمع من الظلام في بداية كل مشهد.

- هذه المونولوجات هي في الحقيقة تداعيات نفسية واعترافات داخلية مأخوذة من قصصها، تمثل صوت الذاكرة والملاوعي الجمعي للحرب.
- وظيفته: منح البعد الغائب (الموتى/المفقودين) حضوراً داخلياً مستمراً، وكشف عمق الصدمة التي بقيت عالقة في نفسية العائلة.
- الحوار الصامت (حوار الجسد/الإشارات)
- يتكرر في لحظات سكوت توفيا أمام إلحاح ابنه، أو حين يظل ساكناً رافضاً الإجابة.
- الصمت هنا ليس فراغاً، بل هو لغة معبرة عن المقاومة أو الألم أو الإنكار.
- مثال: عندما يصر إيتان على أن يذهب معه للعشاء، يظل توفيا صامتاً في وجه الإلحاح.
- وظيفته: التعبير عن القهر الداخلي حين تعجز الكلمات.
- الحوار الجدلي/الديالكتيكي
- هو النقاش الحاد بين الأب والابن حول الحرب والأدب والذاكرة.
- مثال: جدالهما حول نشر قصص الكتاب الهاربين إلى برلين؛ الأب يرى أنها "حقيقة يجب مواجهتها"، والابن يراها "تشويهاً للوطن والجيش".
- وظيفته: كشف الصراع الفكري والسياسي، لكنه يعكس في العمق صراعاً نفسياً حول الذنب والذاكرة.
- الحوار النفسي الإسقاطي
- يظهر عندما يُسقط إيتان شعوره بالذنب على أبيه، أو حين يتهم توفيا ابنه بأنه السبب في تعب والدته.
- هو نوع من الحوار الدفاعي، حيث يُحمّل كل طرف الآخر وزر ما لا يستطيع تحمله.
- وظيفته: إظهار آليات الدفاع النفسي (الإسقاط، الإنكار، التبرير).
- الحوار التذكري/الاستعادي (Flashback Dialogue)
- يتجسد في مونولوجات ريفكا التي تُعيد سرد تفاصيل المعارك والإصابة والمستشفى.
- هذا الحوار يخلق جسراً زمنياً بين الماضي (الحرب) والحاضر (الحزن والفقد).
- وظيفته: جعل الذاكرة الصادمة حاضرة باستمرار في وعي الشخصيات والجمهور.

الأبعاد النفسية المشتركة والتأثيرات المتبادلة في الحوار

تشترك الشخصيات الثلاث في تجارب الصدمة النفسية والحزن العميق الناتج عن الحرب وفقدان الأحبة. فقد وُلد شعور "ذنب الناجين" لدى كل منهم: فالجنود القتلى وُجدوا جميعًا في قصص إيتان وريفكا، أما توفيا فشعر بالذنب لنجاته وحده بعد وفاة زوجته. إن اضطراب ما بعد الصدمة واضح في كلام ريفكا وإيتان- من تخيلات حية وكوابيس إلى انفعالات وغضب ملحوظ- بينما يركز حوار توفيا أكثر على أعراض الحزن والاكتئاب (العزلة واليأس والتفكير في الانتحار)، علاوةً على ذلك، تبرز اضطرابات المزاج والاكتئاب بشكل جلي في شخصية توفيا؛ فجميعهم يواجهون أفكارًا سلبية نحو الذات والعالم (مثلًا تبرير الموت والانتقام) ويفتقدون الدافع للاستمتاع بالحياة.

في نهاية المسرحية تتلاشى حدة الصراعات تدريجيًا على ضوء القبول المتبادل لألم الآخر: فقد وجد توفيا في إنجاز إرث زوجته متنفسًا، بينما اندفع إيتان لمساندة والده ومتابعة مهمة نشر المختارات لوالدته المتوفاة. تلخص هذه التفاعلات كيف أن الصدمات المتبادلة (حرب مؤلمة، وفاة الحبيبة، ذكريات الصراع) خلقت ديناميات من الشفقة واللوم والارتباط العاطفي في آن واحد، مما ساهم في رسم مسار نفسي لكل منهم من العزلة واليأس نحو القبول والدعم العائلي المتبادل. هذه المشاعر والأنماط (الذنب، اليأس، التصادم الأسري) من العلامات الشائعة للحالات النفسية المعقدة بعد الصدمات، وهو ما عكسته أنواع الحوار المستخدمة داخل النص. هذا التنوع يعكس البنية النفسية للنص، حيث يتنقل بين الوعي واللاوعي، بين الماضي والحاضر، وبين الصوت الداخلي والصوت الاجتماعي.

٦- الإرشادات المسرحية

الإرشادات المسرحية (Stage Directions) في نص "على الحافة" ليست مجرد توضيحات تقنية، بل تحمل وظيفة نفسية ورمزية عميقة، لأنها تساعدنا على فهم الحالة الداخلية للشخصيات، وبناء الجو النفسي العام. فيما يلي تحليلها:

الإرشادات المتعلقة بالزمان والمكان

- المسرحية تدور بين غرفة الضيوف، الفناء الخلفي، وأحيانًا المقبرة.

الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על חשך" على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מנחם פרוש מוטי לרנר"

مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

- وصف الغرفة: أريكة، كرسي بذراعين، طاولة منخفضة، جهاز موسيقي، رفوف كتب.
- هذا ليس مجرد ديكور، بل هو إسقاط نفسي:
الكتب = تمثل إرث العائلة/الثقافة والذاكرة.
- الجهاز الموسيقي = أداة يستدعي بها توفيا صوت زوجته، أي صلة باللاوعي والحنين.
- المقبرة = ساحة مواجهة مباشرة مع الموت والفقد.
- الانتقال بين البيت والمقبرة يعكس تذبذب الشخصيات بين التعلق بالحياة والانسحاب نحو الموت.

الإرشادات المتعلقة بالصوت والموسيقى

- "ظلام. موسيقى. يُسمع صوت ريفكا وهي تقرأ"
- الظلام مع صوت ريفكا يوحي بأن الماضي يقتحم الحاضر عبر الذاكرة/اللاوعي.
- الموسيقى الكلاسيكية التي يستمع إليها توفيا = وسيلة للهروب من الواقع وخلق عزاء نفسي مؤقت.
- استخدام الأصوات يجعل "الأموات" (ريفكا) حاضرين بشكل ملموس في وعي الأحياء.

الإرشادات المتعلقة بالحركة الجسدية

- أمثلة:
"يشعر توفيا بالدوار ويمسك بالكرسي" = تجسيد جسدي للاكتئاب والانهيار النفسي.
- "توفيا صامت" (يتكرر كثيرًا) = الصمت هنا يُستخدم كفعل مسرحي للتعبير عن المقاومة أو الإنكار.
- "إيتان يحك صدغيه بسبب الصداع" = تجسيد واضح لأعراض اضطراب ما بعد الصدمة.

- هذه الحركات ليست عشوائية، بل لغة بديلة تكشف ما لا يُقال.

الإرشادات المتعلقة بالإضاءة والظلام

- يتكرر: "من الظلام يُسمع صوت ريفكا..."، "ضوء. بعد الظهر..."
- الإضاءة والظلام هنا ليست تقنية فقط، بل بنية نفسية:

الظلام = اللاوعي، الصدمات، حضور الماضي.

الضوء = الحاضر، محاولة التماسك، مواجهة الواقع.

- التناوب بينهما يعكس الازدواجية بين الحاضر والذاكرة، بين الوعي واللاوعي.

الإرشادات المتعلقة بالأشياء

- الأدوية، الزهور، الملابس، رقعة الشطرنج، زجاجة الكونياك.

- كلها رموز نفسية:

الأدوية = محاولات الهروب/الانتحار (توفيا).

الزهور = الحداد والحب المستمر لريفكا.

الملابس والمجوهرات = صلة بالذاكرة، تثير سؤال: هل نحتفظ بالماضي أم نتخلى

عنه؟

الشطرنج = صراع الأب والابن العقلي، لكنه أيضاً وسيلة للتواصل/المصالحة.

الكونياك = رمز "اللحظة الأخيرة" بين توفيا وابنه، بين الموت والوداع.

الإرشادات المسرحية في "على الحافة" ليست محايدة، بل هي جزء من البنية

النفسية للنص. فهي: تكشف الصراع الداخلي للشخصيات عبر الجسد والحركة، تجسد

الذاكرة واللاوعي عبر الظلام/الأصوات، توظف الأشياء كرموز نفسية، تجعل الفضاء

المسرحي نفسه "ذاكرة حيّة" تتصارع فيها الحياة والموت، الماضي والحاضر.

خامساً: الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي تركزت حول الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على

المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "على الحافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מרמיר

לרנר" موطي لرنر"، والتي أولت اهتماماً خاصاً بأعراض ما بعد الصدمة والاكنتاب

والقلق الناجم عن الحروب. وخُصت الدراسة للنتائج التالية:

١. تُعدّ المسرحية "على الحافة" (٢٠٢٤) لمؤلفها موطي لرنر، دراسة درامية معمّقة، لا

تكتفي بتحليل آثار الصدمة النفسية على الأفراد فحسب، بل تُقدم نموذجاً سردياً

يجسّد الكيفية التي تتغلغل بها هذه الصدمة من المستوى الفردي إلى المستويين

الأسري والاجتماعي.

٢. يتجاوز هذا العمل الفني وظيفته الترفيهية ليصبح مرآة عاكسة للبيانات الإحصائية

والتحليلات السريرية، التي أظهرت الارتفاع الحاد في الاضطرابات النفسية في

- المجتمع الإسرائيلي إثر حرب غزة. وبذلك، فإن المسرحية تخدم غرضًا بحثيًا مزدوجًا: فهي تُقدِّم قراءة فنية لحالة نفسية جماعية، وتُقدِّم في الوقت ذاته شهادة إنسانية تُبرز الأرقام المجردة في قالب درامي ملموس.
٣. تشير البيانات البحثية التي قدمها مركز المعلومات والمعرفة (AMON) إلى قفزة هائلة في مؤشرات الصحة النفسية داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث تضاعف عدد طالبي المساعدة النفسية بنسبة ١٠٠% منذ بداية الحرب، مع زيادة بنسبة ٩٥٠% في المكالمات المتعلقة بالضيق النفسي والاكتئاب والصدمة. تُحوّل المسرحية هذه الأرقام السريرية إلى تجربة إنسانية ملموسة عبر شخصياتها الثلاث الرئيسية، والتي تُجسّد كلّ منها بُعدًا مختلفًا من أبعاد الصدمة.
٤. يُعدّ "مسرح الصدمة"، كما يُشير البحث، فنًا فريدًا في طبيعته لتجسيد الآثار العميقة للحروب على الأفراد والمجتمعات. وفي هذا الإطار، تُقدّم المسرحية نماذج حية لهذه الظواهر النفسية.
٥. تُعدّ الأماكن في المسرحية أكثر من مجرد خلفيات للأحداث؛ فهي تُشكّل رموزًا نفسية عميقة تعكس وتُكثّف حالات الشخصيات الداخلية. ويُعدّ هذا الاستخدام للفضاء جزءًا أساسيًا من البنية الدرامية التي تترجم الواقع النفسي إلى شكل مادي ملموس.
٦. تُفرّق المسرحية ببراعة بين نوعي التعرض للصدمة: التعرض المباشر، الذي يمثله إيتان، الجندي الذي عايش القتال وشهد الفظائع، والتعرض غير المباشر الذي يمثله توفيا، المدني الذي يتأثر نفسيًا بأخبار الحرب ومحتواها الإعلامي. هذه الثنائية تُعزّزها البيانات الإحصائية التي تُشير إلى أن شرائح واسعة من المجتمع الإسرائيلي تأثرت بالحرب، بما في ذلك من تعرضوا لمحتوى إعلامي قاسٍ أو كانوا ببساطة يعيشون في حالة تأهب دائمة.
٧. تُظهر المسرحية أن الصدمة ليست حكرًا على من كانوا في الخطوط الأمامية؛ بل إنها ظاهرة اجتماعية مُعديّة، يمكن أن تنتقل عبر القرب العاطفي والتجارب المشتركة. تُؤكّد المسرحية أن الصدمة لا تُصيب الفرد فقط، بل تُصبح وباءً أسريًا ومجتمعياً يُؤثّر على الروابط بين الأجيال، وهو ما يتجلّى في انهيار العلاقة بين توفيا وإيتان.

٨. المسرحية تُسلط الضوء على أنماط التكيف السلبي مع الصدمة. حيث تُشير البيانات إلى زيادة كبيرة في استخدام المواد المسببة للإدمان، مثل الأفيونيات، ومضادات القلق، وحبوب النوم، حيث وصلت الزيادة إلى ٣٤% في استخدام هذه المواد. ورغم أن المسرحية لا تُظهر الإدمان بشكل صريح، إلا أن رغبة توفيا في إنهاء حياته باستخدام حبوب زوجته، واستخدامه للكحول، يمكن أن تُفسّر على أنها تعبير رمزي عن البحث عن مخرج كيميائي من الألم النفسي الذي لا يُحتمل. وبذلك، فإن العمل الفني يُقدّم سردًا دراميًا يُعزّز البيانات الإحصائية، ويُقدّم تفسيرًا سلوكيًا لنتائجها.
٩. تُظهر المسرحية، عبر شخصية ريفكا الغائبة الحاضرة، أن الأعباء النفسية تُوزّع بطرق غير متوازنة بين شرائح المجتمع. فالبيانات تُشير إلى أن النساء أكثر عرضة للقلق والاكتئاب، وتُقدّم ريفكا، التي ماتت نفسيًا بسبب الحرب قبل موتها الجسدي، تجسيدًا لهذا الألم الصامت. مونولوجاتها، التي تُظهر تفاصيل المعاناة الإنسانية، تُعطي صوتًا للضحايا الذين غالبًا ما تُهمل قصصهم في السرديات الرسمية. يُمكن القول إن ريفكا تُمثّل الذاكرة الجماعية التي لا يمكن كبتها، والتي تصرّ على الكشف عن الحقائق القاسية، حتى لو كان ذلك على حساب السلام النفسي.
١٠. التوافق بين السرد الفني والبيانات الإحصائية ليس مصادفة، بل هو دليل على أن المسرحية تُقدّم فهمًا عميقًا للواقع النفسي، وتؤكد أن الكلفة الحقيقية للحرب لا تُقاس بعدد الضحايا فقط، بل بالندوب النفسية التي تُخلفها في وجدان المجتمع، وتُعطل حياته، وتهدّد تماسكه على المدى الطويل.
١١. إن الصراع حول "مختارات ريفكا" يرمز إلى المعركة الأكبر بين الأدب والمؤسسة العسكرية، كما ترمز المختارات، إلى معاناة الشعب الإسرائيلي خلال حرب غزة، تمثيلًا رمزيًا للذاكرة التي ترفض أن تُصمّت. فكما يقول الأب توفيا: "عندما يغرق الأدب، يغرق كل شيء بعده". هذا القول ليس مجرد جملة عابرة، بل هو رسالة فلسفية محورية تؤكد على أن الأدب هو الحصن الأخير الذي يحفظ القيم الإنسانية في وجه الصراع. إن المسرحية تُشير إلى أن الإنكار (الذي يمثله إيتان) يؤدي في النهاية إلى التدمير الذاتي (الذي يمثله انتحار توفيا)، وأن الطريق الوحيد للنجاة يكمن في الشجاعة على مواجهة الحقيقة.

الأثر النفسي لصدمة حرب غزة على المجتمع الإسرائيلي في مسرحية "על הסף על החافة" (٢٠٢٤) للكاتب "מוטי לרנר מוטי לרנר"
د. نرمين صلاح القماح

مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

١٢. يُؤكّد هذا البحث على أهمية دراسات الصدمة الأدبية كفرع من العلوم الإنسانية؛ ومسرحية "على الحافة" شهادة على أن الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل قوة فاعلة في تشكيله، وتوفير لغة جديدة للتعبير عن المعاناة، وتُحفّز على التفكير في كيفية معالجة آليات العنف الموروثة من الماضي، لتجنب تكرارها في الحاضر والمستقبل.

١٣. مسرحية "على الحافة" هي دراسة نفسية لثلاثة مستويات من الألم: الفردي (الحزن والصدمة)، الأسري (التفكك بين الأب والابن)، والجمعي (المجتمع الذي يتهرب من مواجهة فظائع الحرب). النص يعرض كيف تتحول الحرب إلى صدمات طويلة الأمد تتجسد في الاكتئاب، الاضطراب النفسي، الانتحار، والشعور بالذنب، لكنه في الوقت ذاته يلمّح إلى أن الأدب والاعتراف بالحقيقة قد يشكّلان طريقاً للشفاء.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العبرية

١- المصادر:

لرנר, מוטי (2024). על הסף . אתר מחזאי ישראל.

٢- المراجع العبرية

- אביחי חיים. (٥, ٤, ٢٠٢٤). עלייה של 950% בחרדה ובטראומה: חצי שנה של מלחמה על הנפש. וואלה:

<https://news.walla.co.il/item/3655901>

- הדר גיל-עד. (١, ٨, ٢٠٢٤). נפגעי מלחמה רבים לא מצליחים להשתקם נפשית: "עדיין נמצאים ב-7/10 בשעה 6:29". ynet:

<https://www.ynet.co.il/health/article/yokra14022698>

- מערכת דוקטורס أونلي. (١٩, ٣, ٢٠٢٥). מאז תחילת המלחמה: ירידה במספר ההתאבדויות בישראל. Doctors only.

<https://publichealth.doctorsonly.co.il/2025/03/340907>

- מרכז מידע וידע. (١٦, ٩, ٢٠٢٤). מרכז מידע וידע. <https://www.gov.il/BlobFolder/reports/merkaz1/he/2024-09-16%20%D7%A1%D7%98%D7%98%D7%95%D7%A1%20%D7%9E%D7%A6%D7%91%20%D7%91%D7%A8%D7%99%D7%90%D7%95%D7%AA%20%D7%94%D7%A0%D7%A4%D7%A>

[9%20%D7%9C%D7%90%D7%95%D7%A8%20%D7%94%D7%9E%D7%9C%D7%97%D7%9E%D7%94.pdf](#)

- روني بلنك. (٢٠٢٣). سוגיית תכנון הסיוע הנפשי הנדרש בעקבות מלחמת. ישראל: מרכז המחקר והמידע של הכנסת.
- תומר אלמגור. (٢٠٢٤, ٤, ٩). "נתקלים בעוצמות קשות מאוד של טראומה ושל חרדה".

n12: https://www.mako.co.il/news-specials/data_n12/Article-a3bfa6718a8be81026.htm

ثانياً: المراجع العربية

- أحمد عكاشة. (٢٠١٤). الطب النفسي المعاصر. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- دونالد إيغان. (مارس، ٢٠٢٥). American Psychiatric Association
<https://www.psychiatry.org/patients-families/ptsd/what-is-ptsd>
- كاثي كاروث، وفؤاد عبد المطلب. (٢٠٢٣). التجربة المنبوذة: الصدمة النفسية: السرد والتاريخ. الآداب العالمية.
- لطفي الشربيني. (٢٠٠٦). معجم مصطلحات الطب النفسي. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- نبيل سليمان. (٢٠٠٨). جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

ثالثاً: المراجع الإنجليزية

- American Psychological Association. (2023)
<https://www.apa.org/news/press/releases/2023/10/middle-east-violence-statement>
- Daniel Feingold ,Yuval Neria ,Dana Tzur Bitan. (2024). PTSD, distress and substance use in the aftermath of October 7th, 2023, terror attacks in Southern Israel .Journal of psychiatric research.
- Meretoja, C. D. (2020). INTRODUCTION TO LITERARY TRAUMA STUDIES. New York: Routledge.
- Tamara Yakaboski.(2022).Feeling Trapped in Drama Trauma Cycles
<https://www.tamarayakaboski.com/coachingblog/feeling-trapped-in-drama-trauma-cycles>